الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليــم العالـي والبحـث العلمــي

جامعــة أبــي بكـر بلقايـد–تلمسان–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة المعاصرة وقضايا المنهج

الموسومة بـ:

التصـور الهيدغـري لسـؤال المنهـج

من إعداد الطالب:

جيلالـي حلـوز

بودومـة

بإشراف

الأستاذ:

د.عبد القـادر

لجنة المناقشة

د. أحمد عطار	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
د. عبد القادر بودومة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
د. مونيس بخضرة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مناقشا
د. محمد بوزيان دليل	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

إهـــــــــداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى الوالدة أطال الله عمرها

الزوجة و الأبناء، الإخوة و الأخوات

إلى جميع الأصدقاء و الزملاء

أهدي هذا العمل

شكر و عرفان

نتوجه بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذ المشرف الدكتور عبد القادر بودومة على ما قدم لنا

الأساتذة الكرام أساتذة الفلسفة

وكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

مقدمـــــــــــة

مقدمـــــة:

لقد ظلت الفلسفة زمنا طويلا تبحث عن استحداث مواطن جديدة وأرضيات عذراء للبحث و التفكير، و بقي ذلك هدفا أسمى و مقصدا فريدا ، لكن الفلسفة الحديثة و المعاصرة خرجت عن هذا النطاق، لتفتح لها أفقا جديدا للبحث و التفكير، فقد أصبح المنهج هو الهم والهدف الذي لأجله يقوم كل تفكير فلسفي، فالأسلوب و الطريقة في تناول القضايا الفلسفية أصبح هو الشغل الشاغل لمختلف الفلاسفة و المفكرين المعاصرين، وقد كان لهم عديد التجارب في هذا المجال،و لعل خير مثال على ذلك التجربة الهوسرلية في التفكير ،و التي تعد الرائدة في عصرنا هذا، رغم أنها لم تكن أولى التجارب ضمن محاولته لتأسيس علم كلي عبر إعطاء الفلسفة ماهية العلم اليقيني الدقيق .

لم يكن ذلك مستحدثا ،لا بل يعد ذلك قديما قدم الفلسفة، إلا أن أصالة هوسرل تكمن في تميزه بالطريقة في تناول الموضوعات، و التي سلكها لذلك .

فقد نجد هوسرل و منذ البداية يتساءل :«كيف يمكنني أن أجد منهجا يعطيني خيط السير الذي أسير عليه لكي أصل إلى العلم اليقيني » [1]،فلكل تجربة أسلوبها الخاص، ووجهة نظرها المتميزة في تناول مشكلات عصرها .

لم يكن ذلك حكرا على الفينومينولوجيا، لا بل لم يكن ذلك إلا امتدادا وتطويرا للفلسفة الإغريقية و الأهداف الديكارتية، فقد كان من الضروري استدعاء الأقدمين و استقدامهم و محاورتهم ،حيث مثلت الأفلاطونية أولى

[1]/ E.HUSSERL ,Méditations cartésiennes ,Introduction à la phénoménologie , tr, E , Levinas et G,Peiffer, vrin, paris 1996 ,p101.102

هذه المحاولات التي توجهت نحو البحث عن الحقائق السرمدية، و بعث الإنسان في عالم المثل الأبدية، أما في العصر الحديث فقد كانت الديكارتية أول من حمل لواء تأسيس العلم الكلي على حقائق ثابتة و بديهيات و أسلوب و منهج جديد، فلابد للفلسفة أن تستقى من العلل الأولى باعتبارها المبادئ .

أما عن "كانط "، فكانت محاولته التوجه بالميتافيزيقا إلى أن تكون علما بعد أن استعاد العقل الخالص، لأجل تقويض أوهامه وتعد هذه المحاولة الأهم في تاريخ الفلسفة الحديثة، حيث نظرت إلى الفلسفة على أنها بحاجة إلى علم بوسعه التحكم قبليا في المعرفة الإنسانية .

كل هذه المحاولات لم ترقى إلى مستوى تحقيق المبتغى الذي أراده هوسرل، فقد بقيت رهينة التفكير الميتافيزيقي، و عليه رفض هوسرل مثالية أفلاطون، لأنه أخذ بفكرة الماهيات ،و أعاب على ديكارت عدم فهمه الصحيح للكوجيتو، و اعتماده على الرياضيات ،هذا رغم أنه أخذ الكوجيتو عنه، و لكن ذلك لم يكن إلا رغبة في إصلاحه و اعطائه الفهم الصحيح واستخدامه لتأسيس معرفة يقينية نابعة من الذات الإنسانية ، أما كانط فقد كان تقليديا في ممارساته .

أما الشيء الملفت للإنتباه، هو عودة هوسرل إلى ديكارت، و التي لم تكن قبولا تاما، و إنما مثلت عودته إليه، لا لرفضها بل لتحقيق فكرة عدم كفايتها، لقد كان لكل هذه المحاولات تأثيرا على مسيرة هوسرل الفينومينولوجية، و لم تكن عائقا امام تحرره من التفكير الميتافيزيقي، والبدء في تفكير مفتوح حر لتأسيس علم كلي دقيق .

فقد سعت الفينومينولوجيا الهوسرلية منذ البحوث المنطقية ;أي من سنة 1900 إلى غاية 1929 ،إلى غاية التأملات الديكارتية، إلى مواصلة واستئناف نسق الفلسفة المتعالية، الذي بنى على إثره ديكارت نسق الفلسفة الغربية الحديثة، الذي يقوم على الوعي بديهية دون المساس بقدسيته ومحاولة البحث و الكشف عن البنية الأساسية لهذا الوعي المتعالي، و هو الهدف الذي سعى هوسرل في تأملاته الديكارتية محاولة توضيحه توضيحا فينومينولوجيا، فكما أنه لا يمكن الفصل بين الأنا المفكرة الديكارتية ومدركاتها، باعتبارها محايثة لكل مواضيع تفكيراته ، هذه الإحالة المتبادلة هي ما يسميها هوسرل القصدية في التأملات الديكارتية 1929 ،ضمن مسعاه، بهذا تكون مدركات العالم محايثة دوما لتيار الوعي، و تكون الأنا هي القصد الدائم نحو الأشياء .

لقد اعتبر هوسرل " تأملات ديكارتية "تحولا جذريا في الفينومينولوجيا وفي بنية الخطاب الفلسفي الأوربي، سعيا للتوجه بالفلسفة لأن تكون علما كليا مع تجديد أفاقها، و اقترح مع ذلك طريقا جديدا، و جعل من الأنا الترنسندنتالي أساسا لقيم هذا العلم .

فهوسرل عندما كتب " تأملات ديكارتية " ،كان يبحث عن طريقة لقولبة معالم (الأنا الترنسندنتالية)، و يستعرض التحولات التي عرفها في تأسيسه للفينومينولوجيا .

فالفينومينولوجيا الهوسرلية، و رغم ثرائها اللغوي و المذهبي في تحليل بنية الوعي، كان عليها أن تبقى رهينة الفهم الترنسندنتالي، الذي يتجاوز كل وصف فينومينولوجي، ليبقى الوعي فرضية ميتافيزيقية يتعذر عنها كل رد فينومينولوجي، في حين يمكن رد واختزال كل مواضيع الوعي، يكونها

باستمرار إلى تجارب لغوية، و التي تبقى دائما بحاجة إلى هذا الوعي المتعالي الذي لا يمكن رده إلى شيء .

إلى هنا يتوقف التحليل الفينومينولوجي، عند أطروحة الوعي باعتباره حدس مباشر للعالم، و تصبح الفينومينولوجيا عاجزة عن تحليل بنية الحدس أو رده أو اختزاله .

أمام هذا المعترك الفكري، و الإستشكال الجديد، و الانسداد الفينومينولوجي الهوسرلي، إن صح التعبير، ما كان على تلامذة هوسرل إلا استئناف البحث في خضم ذلك، و على طريقة هوسرل، و على رأس هؤلاء نجد الفيلسوف الألماني، و تلميذ هوسرل المميز، الذي اوكله مهمة مواصلة الفينومينولوجيا، و الدفع بها إلى أقصى امكاناتها، و فتح منافذ أخرى واستحداث سبل ودروب عذراء، لم تطأ قدم فكر أرضها ، " مارتن هيدغر " (1889- 1976) ، إلا ان هذا الفيلسوف، و المفكر جاء متمردا أكثر منه مساندا للنص الفينومينولوجي الهوسرلي بأكمله، بل إن "الوجود و الزمان " 1927 ،المدونة الهيدغيرية الأساسية، والكتاب العمدة في التطرف الفينومينولوجي الهيدغري، لدليل صريح على أن المشروع الفينومينولوجي، والنص الفينومينولوجي الهيدغري، كتب ضد الفينومينولوجيا الهوسرلية، و تدميرا لمنطقها الداخلي، و محاولة لتقويم أسسها، و منطلقاتها، انطلاقا من المبادئ، و المبدأ الأساسي، الذي بناه هوسرل .

لا يخفى على كل قارئ للفينومينولوجيا، أن فينومينولوجيا هوسرل انجبت من بطنها مولودا فينومينولوجيا، كانت عاقبتها إعادة جدولت أسسها، ومبادئها، و إعادة هيكلة منطقها الداخلي .

بطبيعة الحال، لم يكن هوسرل راض عن هذا الرفض، الذي قوبل به من طرف تلميذه هيدغر، لم يلق رفض هيدغر استحسانا من طرف هوسرل إزاء ذلك، إذ أعلن هذا الأخير سنة 1929 وجهة نظره من " الوجود و الزمان "، و من الفينومينولوجية الهيدغيرية، في إشارة هي من بين المأخذ التي حملها ضد هيدغر ،على أنه في تأسيسه الأنطولوجي، لم يأخذ بمبدأ التعليق الفينومينولوجي، على أساس أن هيدغر لم يفهم بعد مقاصد المنهج الفينومينولوجي، و لم يكن على بينة من أمره تجاه هذا المنهج، و لم يبلغ معنى التعليق .

إن عدم أخذ هيدغر بالتعليق، و إن كان ذلك مجرد تعليق هوسرل على ما جاء به هيدغر، فهذا لا يعني أن هيدغر خرج كليتا عن المتن الهوسرلي ، و أنه لم يكن فينومينولوجيا البتة، لا بل المشروع الهيدغري لم يكن عدميا في تأسيسه، فقد أدرك هيدغر حقيقة الفراغ الذي أحدثه و خلفه هوسرل ،عندما حول التأملات الميتافيزيقية إلى تأملات فينومينولوجية في العلم الكلي، فإن بواطن الفراغ تكمن في الأسلوب الذي طرحت به مسألة الوجود، فالمحاولة الهوسرلية، لم تطرح مسألة الوجود بأسلوب أصيل في اعتقاد هيدغر، لقد ظل هوسرل ديكارتيا، وفيا للديكارتية، و لم يقطع الصلة بها، و لا بأصلها الميتافيزيقي، و لم يكن استئناف هوسرل تجاوزا للديكارتية، و لا الميتافيزيقا، و التي يعتقد هيدغر أنها تناست سؤال الوجود كغيرها من الميتافيزيقيات و الفلسفات الذاتية السابقة ، و بالتالي ظل التأويل الميتافيزيقي للفينومينولوجيا أحد العوامل السلبية في الفلسفة الهوسرلية .

في خضم هذه المناورة الفكرية الفلسفية، و امام هذه الأزمة المنهجية التي حلت بالفكر الغربي، يفتح هيدغر باب الإشكال، سعيا منه لتوجيه

الفينومينولوجيا إلى ما قد سهت عنه، و تغافلت الفلسفات الذاتية، و على رأسها الهوسرلية و الميتافيزيقا، من جهة أخرى، إلى مسألة الوجود، أراد أن يحول وجهة الفكر إلى ما لم يفكر فيه، أو إلى اللا- مفكر فيه، إلى ما قبع طويلا في بطن النسيان و الغفلة، إلى مسألة الوجود .

لقد استقدم هيدغر الوجود إلى فسيح الساحة الفينومينولوجية، لتتحول بذلك الفينومينولوجية إلى منهج تأويلي، يضع بين قوسين و يعلق الماهيات ويستدعي إمكانيات الوجود، لتصبح الفينومينولوجيا علم الوجود، ومن هنا بدأت فكرة الزرع الأنطولوجي في الفينومينولوجيا .

هذا إن دل فإنما يدل على الإستشكال الذي تحول به هيدغر إلى مساءلة الفينومينولوجيا في حد ذاتها، لا انقطاعا و إنما استئنافا و تصحيحا لمبادئها و أسسها، و إعادة هيكلة منطقها الداخلي، و ذلك بالعودة إلى بداياتها الأولى بطريقة انثنائية ذاتية، دائما ضمن المبدأ القائل " بالعودة إلى الأشياء في ذاتها " ،و كأنه يريد و بطريقة ما أن يخضع ما أخذ عن هوسرل -" الفينومينولوجيا " للفينومينولوجيا- ،دون أن يغض الطرف عما قد تغافلت عنه فينومينولوجيا هوسرل الديكارتية، من قبل و ما تعالت عنه الميتافيزيقا، دائما في إطار ما عرف به مشروع هيدغر الداعي لمجاوزة الميتافيزيقا، وهي إشارة أخرى للاستئناف الهيدغري الفينومينولوجي على طريقته الخاصة، و هو ما يعرف بالمنعطف أو المنعرج الهيدغري في تاريخ الفكر الغربي عامة .

إلى هنا، يظل الإشكال مطروحا، في الكيفية التي تصير بها المنهج الفينومينولوجي سؤالا، و بعبارة أخرى أكثر وضوحا، الكيفية التي تعرض بها هيدغر لسؤال المنهج، أو المنظور الهيدغري لسؤال المنهج، أو كيف

تصور هيدغر سؤال المنهج ؟ كيف أصبح المنهج عند هيدغر سؤالا ؟ أو كيف ينطرح سؤال المنهج عند هيدغر ؟ وما هي دلالات المنهج الفينومينولوجي الهيدغري ؟ كيف أصبح المنهج سؤالا بعدما كان بداهتا ؟

هذه هي الإشكالية التي يدور حولها موضوع البحث، الموسوم بعنوان " التصور الهيدغري لسؤال المنهج "، أردت بهذه الأسئلة أن أقف عند حدود التصور الهيدغري، أو دلالات المنهج، و الكيفية التي ينطرح بها هذا السؤال في المنظور الهيدغري .

إن اختياري لهذا الموضوع " التصور الهيدغري لسؤال المنهج "، لم يكن أمرا اعتباطيا، و لا عبثا فكريا، بقدر ما كان له من الدواعي و الأسباب والاعتبارات، جعلت منه موضوعا محل البحث و الدراسة الموضوعية منها و الشخصية .

فأما الاعتبارات الشخصية، فيمكن أن أعزوها إلى اهتماماتي المنصبة على الفلسفة الغربية المعاصرة و الفلسفة الألمانية على وجه الخصوص، وميولي الشخصي إلى فلسفة هيدغر، باعتباره أحد الفاعلين في الفلسفة والفكر الغربي، و أسلوبه في التعامل مع مختلف القضايا الفلسفية، والفكرية ، ولغته المتجددة المشفرة التي تحمل بين ثناياها الكثير من الدلالات الرامية إلى إحياء و بعث الإنسان من جديد، و على كل المستويات، و ضمن أفاق مختلفة، و إمكانات متجددة، خاصة فيما يتعلق بفلسفة الكيف .

أما فيما يخص الاعتبارات و الدواعي الموضوعية، أو فيما يخص الموضوع في حد ذاته، كونه يتلاءم و المشروع العام للماجيستير " الفلسفة المعاصرة و قضايا المنهج "، موضوع يحمل من الجدة ما يجعله موضوع

العصر، باعتباره يعالج قضايا و أفكار ما زالت حيز البحث و الدراسة خاصة في الواجهة العربية حول ذلك، مقارنة بالتناولات الغربية، بالإضافة إلى توفر مادة البحث، و كونه موضوع غير مهضوم، الكتابات حوله قليلة .

ورغم ذلك واجهت الكثير من الصعوبات، و على رأس هذه الصعوبات اللغة الهيدغيرية، حتى في اللغة الأصل الألمانية، فما بال الترجمات سواء إلى العربية، أو إلى غيرها، و نقصد الفرنسية، بالإضافة إلى اختلاف القراءات من مفكر إلى أخر، و من مترجم إلى أخر، و رغم ذلك حاولنا جاهدين تجاوز ذلك، و انتقاء ما يمكن من بناء و لو وجهة نظر بسيطة حول الفيلسوف، و حول الموضوع و أفكاره المتناثرة هنا و هناك، بين الألسن و خاصة حول الموضوع محل البحث .

وقد اعتمدت في ذلك المنهج التحليلي النقدي، تتبعت من خلاله خلفيات المنهج الفينومينولوجي، و أسرار اعتماده من طرف هيدغر، وما طرأ عليه من تحويرات و إضافات، ارتبطت بخط سير المشروع الهيدغري العام، الذي أراد إعطاء نفس جديد للفينومينولوجيا من خلاله .

حيث تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول عمل، و كل فصل من تلك الفصول تضمن ثلاثة مباحث، ناقشت فيها كثيرا من المشكلات التي ترتبط بموضوع البحث، فبعد المقدمة.

و في الفصل الأول، الذي كان تحت عنوان " في إمكان فهم الفينومينولوجيا "، فقد عقدت البحث عن الأغوار و الأصول المعرفية والمفاهمية، لمصطلح الفينومينولوجيا، كما فهم قبل هيدغر، و التحديدات المفاهمية الهيدغيرية لهذا المصطلح، عبر العودة إلى البدايات الإغريقية،

تم على إثر ذلك الوقوف على كل الإمكانات المتاحة من طرف هيدغر، لفهم كل من " الفينومان " و " اللوغوس "، عبر نظرة تأويلية لكلا المصطلحين من أجل ضبط و تقديم مفهوم فينومينولوجي للفينومينولوجيا .

أما الفصل الثاني، والموسوم بعنوان " هيدغر و الفهم الجديد للفينومينولوجيا "، و هو بسط للمنظور الهيدغري تجاه الفينومينولوجيا، من الناحية المنهجية، على غرار التصور الهوسرلي، تم التطرق خلاله إلى التأويل الهيدغري لمفهوم الفينومينولوجيا كمنهج، أو الفهم الهرمينيوطيقي الفينومينولوجي الهيدغري، و الانفتاح على قضايا الوجود أو التزاوج الأنطولوجي الفينومينولوجي .

أما في الفصل الأخير، و المعنون ب" سؤال الفينومينولوجيا كموضوع للتفكير "، و هنا الولوج إلى الحديث عن الفينومينولوجيا كمنهج، باعتباره مشكلا فلسفيا عند هيدغر، و الإسقاط الفينومينولوجي على الفينومينولوجيا أين غدت الفينومينولوجيا موضوعا، و سؤالا للبحث الفينومينولوجي، وكذا التحول الهيدغري من الفينومينولوجيا كطريق للبحث، إلى الفينومينولوجيا كسؤال، أو بعبارة أخرى، استشكال الفينومينولوجيا .

أما في الخاتمة، فهي حوصلة، و عرض لأهم النتائج المتوصل إليها، و كذا المآخذ، كما تركت المجال مفتوحا، للبحث و الإثراء و النقد، لأن بحثنا هذا هو محاولة لفهم الحقيقة المنهجية، التي بني عليها المشروع الهيدغري و حقيقة المنعطف الذي أحدثه داخل المنظومة الفكرة الغربية عامة، وداخل الفينومينولوجيا خاصة، باعتباره أحد المجددين في الفكر الغربي، و في الفلسفة الفنومينولوجية .

و قد اعتمدت على أهم مصادر مارتن هيدغر، خاصة كتابه العمدة " الوجود و الزمان " سواء التي ترجمت إلى العربية، أو إلى الفرنسية بالإضافة إلى بعض المراجع المهمة، التي ترتبط بموضوع البحث بصفة مباشرة أو غير مباشرة – على قلتها - .

و قد أردنا من خلال بحثنا هذا أن نحلل موقف أحد أكبر فلاسفة الفكر الغربي من اشكالية المنهج، ورغم المجهودات المبذولة لإنجاز هذا البحث ،إلا أن مجال البحث فيه مازال مفتوحا .

الفصل الأول

في إمكان فهم الفينومينولوجيا

ليس من السهل الإجابة عن السؤال الذي طرحه ميرلوبونتي في كتابه "فينومينولوجيا اللإدراك الحسي " 1945م ما الفينومينولوجيا ؟ و

ذلك بعد نصف قرن من الزمان على صدور أول أعمال هوسرل ، هذا الأخير الذي ارتبطت الفينومينولوجيا باسمه، على أنها العلم الشامل الكلي، إلا أن الحقيقة التي لا مناص منها، أن هذا السؤال لم تتم الإجابة عليه لحد الأن ،على اعتبار أن الفينومينولوجيا ليست الفلسفة المطلقة، لا بل تبقى مجرد منهج مفتوح على عديد الإمكانات الفكرية الفلسفية .

لذلك كان سؤال ميرلوبونتي مشروعا، إلى حد بعيد، إلى درجة أن تعريفها لم يعد ممكنا بمعزل عن، بعيدا عن التطورات التي لحقتها، و التي ما زالت تتوالى بعد هوسرل، و خاصة مع هيدغر، الوريث الشرعي للفينومينولوجيا الهوسرلية .

إذن، فتعريف الفينومينولوجيا، يستدعي العودة إلى البدايات الأولى لظهورها، إذ لم يقترح هوسرل، هو ذاته تعريفا نهائيا للفينومينولوجيا، فعلى امتداد تجربته الفكرية و الفلسفية، كان يعتقد جازما أن الفينومينولوجيا بأي وجه من الأوجه، لا و لم تكن تكرس نفسها لا في زاوية "نظر"، و لا و لم تعبر عن "إتجاه " ما ، على إعتبار أنها تدرس نفسها، و تفهم نفسها إنطلاقا من كونها مفهوما منهجيا أكثر منها مفهوما معجميا أو إبستيمولوجيا إنه مفهوم لا صلة له بسؤال الماهية (الما)، ذات البعد المادي للموضوعات الفلسفية، على غرار العلوم الاخرى، لا بل سؤالها الأساسي و المحوري والرئيس، في الإعتبار المفاهيمي المنهجي، هو (الكيف) بعيدا عن كل ما هو إبستيمي ، فلا مجال للحديث في الفينومينولوجية، خارج سؤال كيف، يمكن أن أدرس الموضوعات الفلسفية ؟ هذا هو الخط الأساسي الذي تسير عليه الفينومينولوجيا، فهي في غنى من أن تكون إجراءا تقنيا .

فالفينومينولوجيا بهذا المنظور، تعبر عن فكرة أساسية يمكن أن نختصرها

في "نحو الأمور نفسها "، في مقابل البداهات و المفاهيم التي لم تحقق بعد إلا شكلا، فالأمر هنا يتعلق ب"أمر مفهوم بنفسه "، نريد أن نجعله أكثر وضوحا و دقتا، كتصورا أولي لمعنى و مفهوم الفينومينولوجيا، قبل أي بناء نظري من شأنه يقوم .

فمصطلح فينومينولوجيا، تداول لأول مرة في القرن 18م من طرف مدرسة " كريستيان فولف"، في " الأورغانون الجديد " من طرف " جوهان هاينريش لومبارث "[2]، و ربطه بأسلوب مماثل، حيث أشار إلى نظرية الظهور أو كيفية تفادي الظهور، ضف إلى ذلك، فقد وجد عند " كانط " تصور قريب في رسالة إلى " جون هانريش لومبيرث "، حيث كتب كانط :« يبدو أن هناك علم أكثر تخصصا و لو أنه إلا سلبا (فينومينولوجيا عامة) سبق الميتافيزيقا ، مبادئ الحساسية (الإحساسية)، مغلاق صلاحيتها وحدها ».[3]

الفينومينولوجيا، بعد ذلك تحولت إلى عنوان للكتاب الأساسي ل" هيغل " في النظرية الدينية البروستانتية في القرن 19م (فينومينولوجيا الروح)، وهي عقيدة أو مذهب مختلف طرق الظهور الديني .

إلى جانب ذلك، صورت الفينومينولوجيا داخل دروس " فرانز برنتانو " على نحو الميتافيزيقا، بعد تواصل شفهي مع هوسرل، و هذا ما يقودنا للتساؤل عن سر اختيار هوسرل لهذا المصطلح، و لماذا استدعى القرن 18م الفينومينولوجيا، و كيف يدل الفينومان على الظهور ؟ فكلمة " ظهور " يجب أن توضع جانبا، لأنه حمل و دفع على رأي الخطأ، فالمطلوب هو

---

[2]/Johan Heinrich Lambert .Nouvel organon ou pensées sur la recherche et la désignation de la vérité .et sur ce qui distingue de l'erreur et de l'apparence .

[3]/ MARTIN HEIDEGGER- Introduction à la recherche phénoménologique .trad. de l'allemand par Alain Bouton .nr .Editions Gallimard 2013 p21

رد اللفظ الإغريقي، فكتاب " النفس " لأرسطو سالف سوء الفهم، إذ أخذ عند بعضهم في سياق الحوار على اعتبار الإدراك، التفكير، الإرادة، ليس معاشا عند أرسطو، فهي لا تؤدي المعنى الحالي، لكنها تداولت في الوجود الإنساني (في الحياة العامة)في العالم .

ففي مجال إستعادة المفاهيم الهوسرلية، بما في ذلك مفهوم الفينومينولوجيا، تحديدا لمفهومها و محتواها، فقد أطلق هوسرل على الفينومينولوجيا إسما جديدا، هو"علم الذات "، بعد ان جعل الذات الترنسندنتالية موضوع الفينومينولوجيا، كما أن تحقق الوحدة الكلية للعلوم والمعارف على اليقين، يحتاج إلى فلسفة تتوجه نحو "الذات".

و في مقابل ذلك، يتجه هيدغر إلى الوراء، باحثا عن الأصل، مستبعدا كل التصورات، و المعتقدات التي لم تعد قادرة على حمل المعنى العام للراهن بما في ذلك الميتافيزيقا، إسهاما في تحديد الفكر، و تخليصه من الميتافيزيقا .

لكن السؤل الذي يتبادر للأذهان تبعا لذلك، هو الطريقة التي استشكل بها هيدغر الفينومينولوجيا في خضم عودته إلى البدايات الأولى .

ففي المنظور الهيدغري، يعبر عنوان الفينومينولوجيا عن تصور، يمكن الإشارة إليه بالإيعاز التالي "في الأمور نفسها"، أو النفوذ، الغوص، والولوج بعيدا، داخل الأمور في ذاتها، بصرف النظر عن البناءات الشكلية التي لا تتجاوز كونها مفاهيم سطحية، غير مبرهن عليها إلا شكلا، و التي تطفو علنا على سطح الإستشكالات المزيفة، على اعتبار أنها مشاكل تفرض نفسها على مر الزمان، إن الأمر هنا على حد تعبير هيدغر يتعلق إذن بواقع أمر بنفسه، يسعى لتقريبه إلى الأذهان، لإيضاح مسار هذا

المفهوم .

تاريخيا، تنقسم الفينومينولوجيا إلى مصطلحان أصيلان داخل اللغة الفلسفية الإغريقية، (الفينومان و اللوغوس) انطلاقا من التغيير الدلالي، و هذا بمنطق العودة إلى البدايات الأولى، إذ أن اللفظين(φαινόμενον) ذا أصل يوناني[4]، فهي بهذا مصطلح مركب، على شاكلة ثيولوجيا، و البيولوجيا، و السوسيولوجيا، و التي تترجم هي الأخرى كالآتي : علم الإله، علم الحياة، علم الاجتماع، فكانت الفينومينولوجيا تبعا لذلك علم الظواهر .

إن ما نصبوا إلى فهمه، و الكشف عنه، إنما هو المقصود المحدد، والمفهوم

التأويلي الموجه بعين هيدغيرية لكلا اللفظين، والإسم الجامع لهما، فما المقصود بالفينومان و اللوغوس انطلاقا من السبيل الذي أقام من خلاله هيدغر مفهومه لهما ؟ أو بعبارة أخرى، إلى أي مدى يمكن أن ندرك الأغوار الفينومينولوجية الهيدغيرية لمفهومي الفينومان و اللوغوس ؟ كيف عبرت المعجمية الهيدغيرية فينومينولوجيا عن كلا القسمين ؟

[4]/- MARTIN HEIDEGGER- Introduction à la recherche phénoménologique Ibid. p 17

المبحث الأول

المفهوم الفينومينولوجي للفينومان

تشير العبارة اليونانية (φαινόμενον)،(فاينومان – phànomen)،إلى لفظة فينومان، و هي مشتقة من الفعل اليوناني (φαίνεσθαι)، بمعنى انكشف بمعنى شيء ما يبدو الذي يدل على الذي ينكشف – المنكشف – المتجلي ; أي وضع شيء ما في الآنية، و بذلك تدل (φαινόμενον) [5]على الذي، أو ينكشف أو المتجلي أو المنكشف .[6]

فالفينومان، يرى هيدغر أنه يجرد هذا الظهور على أنه ظهور هنا هو ذاته ، إنما صيغة تدل على حمل الشيء إلى وضح النهار، أو وضع الشيء في النور، وأصل كلمة (φαίνω) تعود إلى الجذر(-φα-)(فاي- phu)، و هي في الأصل من (فوس -phos) (φῶς)، التي تعني الإنارة، أو الضوء، أو النور و الوضوح ; أي أن ما ضمنه يمكن أن يصير شيء ما جليا، واضحا، منكشفا، قابلا للإبصار في ذات نفسه .[7]

فما يجب أن يفهم من ذلك، على حد تعبير هيدغر، كإشارة و دلالة للعبارة(فينومان)، هو المنكشف في ذات نفسه هنا و اليوم، فالفينومينات بذلك هي كل ما يقف في وضح النهار في النور، و قد أشار إلى أنه جاء في كتاب النفس لأرسطو في المبحث السابع، الذي تناول فيه بالتحليل إدراك ووضوح العالم عن طريق النظر، و الذي قدم خلاله شرحا عينيا لذلك، أين أشار إلى النظر على أنه كل ما هو واضح في النظر هو نظر[8]،انطلاقا من الفهم الأرسطي، فالألوان مثلا :« هي شيء من جنس يختص باللون وهو كل ما بسط و مد أمام النظر بنفسه، فاللونية إذن كما يرى هي في كل مرة و دائما

---

[5]/ مارتن هيدغر . الكينونة و الزمان .ترجمة و تقديم .د. فتحي المسكينين .مراجعة .إسماعيل المصدق .دار الكتاب الجديد المتحدة 2012.الطبعة الأولى .ص89

[6]/ M. Heidegger- ontologie herméneutique de la activité .trad. de l'allemand par Alain Bouton .nr .Editions Gallimard 2012.p97

[7]/ MARTIN HEIDEGGER- Introduction à la recherche phénoménologique ، ibid.p22

توجد بشدة في النور في الضوء و بالضبط في الوضوح ، فالوضوح إذن هو ما يدعنا و يسمح لنا أن نرى شيئا ما انطلاقا من ذاته ، هذه الشفافية ليست مرئية في ذاتها إلا انطلاقا من كونها لون على أنها غير ظاهرة ، فالشفافية إذن هي ما يسمح لنا النظر بتوافق اللون الحقيقي للأشياء .

و أضاف أن أرسطو، قد كشف لنا أن الشفافية ليست جسم، لكنها وجه الوجود النقي الحقيقي، مثل السماء تسمح برؤية الأشياء بشكل أخر اليوم و الأن »[9] .

ومن هذا المنطلق، ينظر هيدغر إلى الفينومان، على أنه ذلك المنكشف في ذاته، بجلاء أي المتجلي الذي يقف في وضح النهار، في النور، على اعتبار ما ذهب إليه أرسطو من خلال إشارته إلى الشفافية، التي لا تشوبها و لا تشوه رؤيتها شائبة، و هو ما يوحي بالصفاء، صفاء النظر، أين ساوى الإغريق بينه وبين الكائن، فتجريد ظهور الكائن، يقدم من ذات نفسه على أوجه مختلفة، حسب صيغة الولوج داخله، فقد ينكشف الكائن بطرقة ما ليس هو ذات نفسه، و هو بهذا الاعتبار ظهور في حد ذاته، و على هذا الأساس وانطلاقا من الرؤية الهيدغيرية، يمكن أن نسمي الفينومان بالدلالة الإغريقية " التراءي "، على اعتبار أنه ليس بالفعل كما يقدم نفسه، فإنا نراه كذلك غير أنه ليس كما هو .

ولأجل فهم أعمق، و أعم، لمفهوم الفينومان، أراد هيدغر أن يميط اللثام عن تلك العلاقة الترابطية بن دلالتي الفينومان، بإعتباره المنكشف بنفسه من جهة و الظاهر من جهة ثانية، إنه من جهة بمعنى أنه يمكن له أن ينكشف بإعتباره شيئا ما هو ليس هو، ومن جهة أخرى، و ضمن دلالة الظاهر يعبر

[9]/ - MARTIN HEIDEGGER- Introduction à la recherche phénoménologique Ibid. p25

عن الدلالة الأصيلة (المتجلى)، التي تعد الدلالة المؤسسة للثانية، إنما هذا التحويرو الإحالة كانت من جهة الإصطلاح، إلى الدلالة الموجبة و الأصيلة للفينومان، و أما التحوير السالب للفينومان، كان لمجرد التمييز له عن الدلالة الأصلية، بمعنى الظاهر أو "في مقابل الظاهر" ; بمعنى أن الدلالة الأصلية التي تعبر عن الشيء ذاته، هي " الظاهر " في مقابل ما يعبر عنه المنكشف الذي يوحي إلى ما ليس هو في ذاته .

بالإضافة إلى ما يمكن أن نشير إليه على أنه ظاهر، و ما نشير إليه على أنه المتجلي، تحول هيدغر إلى إشارة أخرى، و التي لا تمت بصلة إلى الدلالتين السابقتين " الظاهر " و " المتجلي "، ألا و هي " المظهر " أو " مجرد مظهر "، و هي دلالة أخرى، تشير إلى الظهور لكنها ليست بمعنى الظاهر و هي تعبير عن " ما لا يظهر بنفسه "، و على هذا الاعتبار فإن الفينومان هو نمط من الظهور، لكن لا يعنى ذلك أن كل فينومان هو مظهر، و قد استدل هيدغر في ذلك بالمظاهر المرضية، التي توحي إلى عوارض أو حوادث البدن، و التي تعبر في ظهورها أو انكشافها على اعتبار أنها حوادث منكشفة عن شيء لا يظهر هو ذاته، أو ينكشف هو ذاته، فهي عوارض تعبر عن اختلالات، واضطرابات، هي في حد ذاتها لا تنكشف، فظهور الأعراض المرضية كالحمى و التعرق و غيرها مما ينكشف، هي مجرد مظاهر مصاحبة لمرض معين، أو اضطراب داخلي، لا ينكشف هو ذاته، فالمظهر إذن، على حد تعبير هيدغر، هو مظهر "عن شيء ما " لا يعني ولا يوحي أبدا أنه الشيء ذاته قد انكشف بذاته، بل أن هناك شيئا ما لا ينكشف، وهو فقط ينبئ عن نفسه عبر شيء قابل للإنكشاف، وقد عبر هيدغر عن ذلك بقوله أن :« التمظهر هو ضرب من اللا-إنكشاف »[10]،

---

[10]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان ، المصدر نفسه ص 90

أمر أخر يجب الإشارة إليه، أن "اللا" لا تؤدي دور السلب أو النفي المطلق بقدر ما تؤدي دور التعيين، تعيين بنية الظاهر، الدلالة الأصلية حيث يقول هيدغر أن :« ما لا ينكشف على الشاكلة التي بها يظهر المتمظهر ،لا يمكن له أيضا أن يظهر » [11]; بمعنى أن المنكشف في ذاته، والذي لا يظهر بالصورة التي يظهر بها عرضه، أو " المظهر "، أو ما تمظهر به لا ينكشف مطلقا، و بالتالي فاللا-إنكشاف هنا يؤدي المعنى الإيجابي على أنه هو المقصود فاللا-إنكشاف هنا، هو المراد بالإنكشاف الحق في ذاته، إذ أن كل الإيحاءات والإشارات و الأعراض و الرموز، ما هي إلا البنية الأساسية و الصورية المذكورة للتمظهر، فالمنكشف الحق يكمن أو يتوارى وراء هذه البنية الصورية المشار إليها بالتمظهر، إلى جانب الإختلاف فيما بينها .

و باعتبار الإنكشاف فينومان، فالتمظهر أبدا لا ولم ولن يكون إنكشافا، فهو لا يمكن أن يكون إلا باعتباره انكشاف شيء ما ليس هو الفينومان في حد ذاته، و هذا لا يمنع من أن يكون الانكشاف تمظهرا، فهو يفتح امكانية التمظهر، لكن ليس هو التمظهر ذاته فكما يقول هيدغر :« هو الانباء – عن – النفس عبر شيء من شأنه أن ينكشف » [12]

و بعبارة أخرى، أن الفينومان يمكن أن يكون تمظهرا، على اعتبار أنه ينبأ عن نفسه، عبر شيء ما يكون قابلا للانكشاف، في حين لا يمكن للتمظهر أن يكون فينومانا ; أي انكشافا، على اعتبار أنه مجرد عارض، أو بنية صورية لا أكثر، تعبر عن شيء ما قابل للانكشاف .

فالمقصود بلفظة " مظهر " إذن، هو شيء يتضمن تمظهر شيء ما، دون

---

[2]/ المصدر نفسه ص 90

[12] / مارتن هيدغر - الكينونة و الزمان ، المصدر نفسه ص 90

أن يكون هو ذاته مظهرا، و هو بذلك تحديد مسبق، و افتراض يبقى محجوبا، فالمظهر هنا يؤدي معنى الانكشاف، وهو ينبأ بشيء ما عن نفسه، و الذي " ضمنه "، و عليه لم يكن الفينومان مظهرا أبدا، لكن المظهر ذاته مرتبط بالفينومان، تلك هي العلاقة الخفية التي كان هيدغر يريد أن يكشف انحجابها و التي تربط الدلالتين الظهور و مجرد مظهر .

و من هنا فإن عبارة "المظهر " ذات دلالة مزدوجة، من جهة أولى تدل على التمظهر في معنى الإيحاء إلى النفس، على أنه لا-إنكشاف، وعلى المنبئ ذاته، حيث في إنكشافه، يصرح بشيء غير كاشف عن نفسه، و في نهاية المطاف، فإن التمظهر هو إشارة للمعنى الأصيل، والحقيقي للفينومان، من حيث هو إنكشاف .

« فالظواهر إذن، هي مجموعة ما يستضيء بنور النهار، أو ما يكشف عن نفسه بنفسه، تعنى طريقة مميزة في الالتقاء بالموجود، ففكرة الظهور مرتبطة بفكرة النور، أوالمجال الذي تتجلى فيه الموجودات » [13] ، فهذه الإشارة للظواهر، تبعد فكرة ارتباط التمظهر بالفينومان الأصيل، فالفينومان الحق، هو الذي يكشف عن نفسه بذاته، بعيدا عن أي تملص، داخل أو ضمن عارض ما .

و على هذا الاعتبار، فإن الفينومان من حيث الماهية يكون أكثر تحديدا، من جهة أن "المظهر " يمكن أن يأخذ دلالة أخرى، حيث أن ما يعلن عما لا يتجلى، كونه ما يبرز مما لا يتجلى هو ذاته، كون هذا الذي لا يتجلى مفكرا فيه، بوصفه ما لا يتجلى أبدا، فما ينبأ عنه و الذي يبرز معلنا عنه لا يشكل الكينونه الأصيلة، على إعتبار أنه مجرد إشعاع، ينبئ عن وجود المشع

---

[13] / د- صفاء عبد السلام جعفر - الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر – منشأة المعارف – الإسكندرية – الطبعة الأولى – 2000 ص 66

وبالتالي هذا المشع، هذا اللا-إنكشاف الحاجب ليس ظاهرا، إذن فهذا الذي يكشف عن نفسه بهذه الصيغة، هو« الفينومان في المعنى الأصلي الصميم »[14]، فالفينومان مشع يخفي نفسه، و يحجبها، و ينبأ عن نفسه با"لمظهر "، ورغم أنه ينبأ عن نفسه عبر منكشف ما، يمكن له أن يتحول إلى ظاهر كما يمكن للمظهر أن يصبح هو الأخر ظاهر، و ذلك حين يتطابق الفينومان مع المظهر، فالفينومان في المعنى الهيدغري، هو« انكشاف- أمر – ما – في – ذات – نفسه » [15] على العكس من المظهر، الذي لا يتعدى مجرد تلك العلاقة أو الإحالة ضمن الكائن ذاته، فهو المحيل الذي ينبأ عن الكائن ذاته، الذي هو منزه عن تلك الصفة، والذي لا يمكن أن نصفه كذلك، إلا في حالة ما إذا انكشف في ذات نفسه، ليصبح بذلك " فينومانا "، هذا إن دل فإنما يدل على أن الفينومان عملة واحدة تحمل وجهين، " المظهر أو الظاهر "، مؤسسان ضمن الفينومان، وتبعا لذلك فالتسميات المتعددة (الظاهر – الظاهرة – المظهر – مجرد مظهر) كما يرى هيدغر، لا يمكن فهمها إلا إذا ارتبطت كل منها بمفهوم الفينومان، باعتباره المنكشف – في – نفسه ; أي أن فهم هذه التسميات مرتبط بتعيين و تحديد إدراك مفهوم الفينومان، إلا أنه يمكن أن نطلق في حالة عدم تعيين مفهوم الفينومان، على أي كائن إسم الفينومان ويبقى الامر غير محدد مفتوحا على مختلف الإمكانات، فنشير إلى الكائن على أنه كاشف عن نفسه، إلى مجرد الكينونة في الكائن كاشف عن نفسه أيضا، و لا يمكننا أن نقف على المفهوم الأصيل للفينومان إلا شكلا .

لكن إذا تعين مفهوم الفينومان على نحو الكاشف عن نفسه هو نفسه الكائن فهذا لا يعني على حد تعبير هيدغر أننا نقف على المفهوم الأصيل، ولا

---

[14] / مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان ،المصدر نفسه ص92

[15] / المصدر نفسه ص92

يكون تحديدا مطلقا للفينومان أبدا، لا بل ذلك يدخلنا في حيز مفهومية عامية، على أساس أن المفهوم الفينومينولوجي للفينومان لا يتعين أبدا، على أنه الكاشف عن نفسه بنفسه، فالكائن الحق و الحقيقي بالمفهوم الفينومينولوجي للفينومان هو الذي يتحدد باعتباره اللا- نكشاف، فهو المتحجب الذي لا ينبأ عن نفسه إلا اعتبارا، انطلاقا من كونه مشع يتحدد عبر الإشعاع، ليبقى هو هو ذاته ضمن الإحتجاب، و هذا إن دل فإنما يدل على التطابق المنهجي بين المبادئ ،مبادئ المنهج الفينومينولوجي الهيدغري الذي ينطلق من القاعدة " نحو الأشياء ذاتها "، لينتهي للبحث عن الشيء ذاته دونما النظر عما ينبأ عنه والذي يحمل صفة الانكشاف، فالفينومان بهذه الصيغة هو اللا-نكشاف المضمر، ضمن ما هو قابل للانكشاف، وقد أكد هيدغر على استعمال مثال الأعراض المرضية، فالأعراض يقول :« هي ظواهر جسدية التي تظهر بينما في ظهورها إشارة نحو شيء لا يظهر ، فاحمرار وجنتي الطفل يوحي بالحمى التي لا تظهر هي ذاتها، فالاحمرار ليس هو الحمى، فظهور الأعراض مرتبط باضطراب لا يتراءى » [16] ،إذن الأعراض التي تحدث عنها هيدغر، هي إعلان عن شيء لا يتراءى، غير جلي ، هذا الإعلان هو من أجل معنى التحويل أو الإبعاد، فالخاصية الأساسية للظهور هي كذلك في استقدام غياب الظهور، فالمعنى الأساسي للظهور هو الذي – لا – يبرز أو الذي لا يتجلى أو اللا – إنكشاف ، فالظهور كما يقول هيدغر هو :« كذلك ما هو متفق عليه على أنه اللا – إنكشاف » [17] .

و من كل هذا، يتراءى لنا أن فكرة هيدغر حول مفهوم الفينومان تتمحور

---

[16]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger "l'être et le phénomène" L'HARMATTAN – paris – 2008 - p36

[17]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger p37

حول ثلاث معان (الظاهرة و الظاهر و المظهر و مجرد المظهر)، أخذت كلها بعين الاعتبار، من أجل تحديد و تعيين المفهوم الأصيل للفينومان، فإذا أخذنا في الاعتبار أن الفينومان هو الظاهرة، فهذا يعود بنا إلى الأصل اليوناني للفظة«φαινομενον» والتي تؤدي معنى "المنكشف " أو "المتجلي " بنفسه .

أما إذا أخذ باعتباره "الظاهر "، فهو يؤدي المعنى الفرعي المشتق من " الظاهرة"، فهو بمعنى "المتشابه" أو "الشبيه"، الذي يبدو أو يترأى لنا وكأنه هو ، ففي الأول استعمل معنى التحديد " هو "، أما في الثاني استعمل صيغة التشبيه " ك " للدلالة على التشابه، من جهة و للدلالة على الاشتقاق من الكلمة " الظاهرة " على أساس أنه يمكن أن لا يكون هو أو العكس .

أما الاعتبار الثالث للمعنى فقد يحمل على أنه "المظهر" أو"مجرد المظهر " و هو معنى فرعي ثان يعد اكثر بعدا من الأول، وهنا يؤدي معنى الأعراض و المظاهر الخارجية، التي تعبر عن ، و تعلن عن علة خفية لكن ليست هي ذاتها، هذا الاعتبار الأخير، يستبعده هيدغر ويعتبره مجرد تحويل و ينفي أن تكون الفينومينات مظاهر، حيث يقول :« الفينومينات لا تكون مظاهرا أبدا، لكن المظاهر هي محتاجة دوما إلى الفينومينات »[18]، فالمظاهر ما هي إلا تعبير، وإعلان عن وجود علة ما هي إلا إشارة لها ، ولا يمكن أن تكون ما لم تكن هناك علة، فهي مرتبطة في وجودها بوجود العلة، التي هي الفينومان ، لكن الفينومان ممكن الوجود بدون عوارض أو بدون مظاهر، التي تبقى هي في حاجة دوما له .

و على هذا الأساس، يرجح هيدغر مفهوم الفينومان لاعتباره المنكشف أو

---

[18]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان ،المصدر نفسه ص93

المتجلي بذات نفسه ; أي هو ذاته كيفما كان تجليه، مستقل في انكشافه وتجليه بنفسه ، و ذلك على حساب المظهر، و خلافا له، الذي يعبر عن مظهر شيء ما لا عن شيء بذاته .

إن هذا الأسلوب في التعامل مع تحديد مفهوم الفينومان، ما هو إلا عينة نموذجية عن فينومينولوجيا هيدغر في سبر أغوار المفاهيم، والذي يعكس التدرج في الحفر عن المعنى الأصيل لهذا المفهوم، فهو عاد وبطريقة فينومينولوجية، للبحث بين ثنايا التراث الغربي، من أجل الوصول إلى تحديد الأصل المفاهيمي للمصطلح، كما كان ذلك تعبيرا عن المبدأ الأساسي في خطة عمله و الذي مفاده " إلى الأشياء في ذاتها " .

و مع ذلك لم يكتفي هيدغر عند حدود التعيين للفينومان، بل تجاوز ذلك إلى جعل المفهوم الفينومينولوجي للفينومان عموما مرتبط – بغض النظر عن كيفية الانكشاف و مدى تعيينها و تحديدها – بتحديد و تعيين دلالة، ومعنى أخر داخل التركيبة الإصطلاحية " فينومينولوجيا "، و هي دلالة اللوغوس (λόγος) حتى نتمكن من فهم الفينومينولوجيا، والوقوف على الحقيقة العلمية و المنهجية لهذا المصطلح، على أنها فعلا علم الفينومينات .

فكيف فهم هيدغر اللوغوس ؟ كيف أول هذه الدلالة ؟ و ما هي حقيقة العلاقة التي تربط الفينومان باللوغوس ؟ كيف يفهم الفينومان انطلاقا من اللوغوس؟

المبحث الثانى

الدلالة الكشفية للوغوس

المبحث الثاني: الدلالة الكشفية للوغوس

كما فعل هيدغر في شرحه و تفسيره الشكلي لمصطلح فينومان في الفقرة السابعة من كتابه الشهير " الوجود و الزمان "، عاد بمصطلح " اللوغوس " إلى أصله الإغريقي، لأجل استجلاب فهم أصيل، و ذلك دائما في إطار فينومينولوجي، تبعا للقاعدة الأولى " العودة إلى الأشياء في ذاتها "، و ذلك من خلال التقسيم السالف بأسلوب عزلي ملاحظاتي .

فلفظة " لوغوس " تعد مصطلحا، ومفهوما، في الوقت ذاته، إذ تحتم علينا تبعا لذلك الخوض في إشكالية أخرى تتعلق بترجمته و تعريبه و تقفي أثر دلالته المفهومية، مما يقودنا على خطى هيدغر استحضار مختلف الترجمات التي خصت اللوغوس، خاصة في الفلسفة الغربية، إذ وجد الأصل الإغريقي للوغوس، وفي النظر الأول أكثر تركيبا، والذي ارتبط أصالتا، بمعنى الفينومان، فمعنى اللوغوس عند أفلاطون و أرسطو هو:« الجمع، وعند أرسطو يعنى الرمز، والفرضية، والحكم »[19]، هذا في معنى ظاهر خلق زخما و زحاما في المعاني و الدلالات .

لنقف في بحثنا هذا عند المصطلح، لنتتبع دلالاته، لنكشف عن تلك المشكلات المتصلة بالمصطلحية في بعدها المفاهيمي والتحديدي، حتى نتمكن من حصر مجاله الدلالي المفهومي، وحتى لا يفوتني أن أنوه أن كل

[19]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger، p49

تحديد مرتبط بتصور فلسفي معين، على اعتبار أن كل مفهوم له خلفية تراكمية دلالية، نتج عنها المصطلح عبر ممارسات، واستعمالات لغوية معرفية وبطبيعة الحال، سيكون هذا التتبع داخل المسالك التفكيرية الهيدغيرية الفينومينولوجية، حتى يكون هذا العمل المصطلحي محاولة لوضع اليد على تلك التراكمية الدلالية لمصطلح " لوغوس "، حتى نتمكن من تحديد الدلالة المفهومية، وهذا بعيدا عن المتابعة التاريخية للمصطلح .

إن لمحاولة وقوفنا عند المصطلح هدفا محددا، يجعلنا نتتبع المؤشرات الجوهرية التي تخدم غرض البحث، قصد إبراز ما هو إشكالي في مفهوم اللوغوس من منظور محدد هو منظور هيدغر، و بغية فهم الدلالة الحقيقية لمعنى " اللوغوس "، و ارتباطها بالمفهوم الفينومينولوجي لكل من الفينومان و الفينومينولوجيا .

إن مفهوم اللوغوس (λόγος) يتخذعدة معان، عند أفلاطون و أرسطو فهو لا يحمل دلالة أساسية معينة محددة، وهذا على حد تعبير هيدغر، يعود إلى أن التأويلات لم تقف على الدلالة الأساسية الحقيقية المشار إليها إبتدائيا، لذلك تحتم على هيدغر أن نظر إلى اللوغوس أساسا على أنه الكلام، وذلك لأجل توضيح أصالة اللوغوس، و جذريته، ليضمن معنى أوحد بوصفه الكلام .

فاللوغوس إذن، يدل على الكلام، ويعلن عن وصف الحكم، هذا بالرغم من أنه أبعد ما يكون عن الأصل، ولكن« هذه التأويلية كانت لها غاية إحداث النقد ضد هوسرل، الذي بنى مفهومية المنطق داخل نظرية الحكم، وأيضا لنقد أستاذه (بول ريكير) الذي طور نظرية الحكم »[20] ومن أجل دلالة

[20]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger ،p 50

الكلام، طالب هيدغر و بإلحاح شديد الأصالة، باعتباره موجود بقوة ضمن أو داخل مختلف المعاني أو الدلالات المصرح بها أو المتداولة، إذ يرى أن الحل لهذا المشكل ببساطة هو لغوي وهو حل فينومينولوجي لا بد منه .

إن تاريخ الأفكار ترجم اللوغوس على أوجه شتى فقد فسره بوصفه تعريفا و تصورا و حكما و عقلا، ولكن إذا كانت الدلالة الأساسية هي الكلام، فعلى أي أساس كان على الكلام أن يتنوع ؟ ما هي الدلالة الحقيقية والأصيلة للكلام حد ذاته ؟.

إن اللوغوس حقا يدل على مختلف المعاني التي تم التطرق إليها، لكن لا يكون ذلك إلا في حدود الاستعمال اللغوي العلمي، فحتى وإن كان اللوغوس يعني "المنطوق " على أساس أنه "حكم"، فهذا لا يعني أننا نقف على الدلالة الأساسية له، لابل تبقى مصداقية ومشروعية هذه الترجمة لا تتجاوز الظاهر خاصة إذا كان تصور الحكم داخل نظريات الحكم، وعلى ذلك فاللوغوس لا يعني البتة حكم بأي صيغة .

إذن اللوغوس على الأرجح هو الكلام، أوشيئا من قبيل الكلام، ولذلك اقترح هيدغر ترجمته المعروفة لمعنى اللوغوس ككلام على أنه :« إحداث الظهور déloun[21] * »وهذا استنادا لشرح أرسطو لوظيفة الكلام بوصفه التبصر أو أنه يمكن من الإبصار بشيء ما .

فاللوغوس ككلام يعني " إحداث الظهور "، حمل الذي يتجلى على الظهور أي الفينومان أين أحدث الإلتقاء لمعنى اللوغوس مع الفينومان، فاللوغوس إذن هو كلمة تبصر، وأكثر تحديدا بسط النظر في النور، كما كتب هيدغر

[21]/ibid.p 50

*/déloun : c'est l'interprétation heideggérienne du logos .c'est le sens fondamental du logos signifie « rendre manifeste »

:« اللوغوس هو تبصر في النور »[22] لكن كيف يتم شرح اللوغوس بدقة ؟

فالكلام إذن "يبين"، انطلاقا من الشيء ذاته الذي يكون عليه الكلام فالتواصل بالكلام يجعل المتكلم يستمد مما هو متكلم عنه جليا واضحا، هذا هو لب اللوغوس من حيث هو كلام، فالسؤال هو أن تجعل من الشيء المتكلم عنه جليا، ولكن على نحو ما .

فالكلام إذن، هو البيان الذي يحمل طابع التكلم، البلاغ الصوتي بالكلمات، والألفاظ، وهذا هو اللوغوس، الذي من خلاله و ضمنه يكون شيء ما مبصرا .

فوظيفة اللوغوس من حيث هو الإبانة، تكمن في البيان المبين عن شيء ما ، ومنه فهو يحمل صورة بنائية لا تتمثل في الشكل المتعلق بالتوافق والتطابق بين ما هو باطني بما هو ظاهري، واللوغوس هو المقصود بطريقة جزئية ويعد أرسطوهو أول من موضع ووضع اللوغوس داخل دلالة الكشفية (الأبوفنطيقية)[23] بسبب أن الكلام لا يلتقي مع معنى النظر كتنوير، كما ذهب هيدغر، فالصلاة مثلا (تبصر)، تبصر لكن بصيغة مختلفة، توحى للإعلان على أن السؤال هنا يبقي طريقة الكلام الوحيدة، التي تبصر الشيء بهذه الصيغة جزئيا، أي شرح وظيفة اللوغوس الذي يحدث التبصر في النور فكيف يتم هذا الإعلان ؟ أو ما هي طريقة الوضع في النور ؟.

وفق بنيته في اللغة الإغريقية« اللوغوس بمعنى العلاقة أو الربط بين الأشياء يدل على الجمع »[24] ،فإن دلالة (συν) أو كما تترجم (جميعا أو

---

[22]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger ،p 50
[23]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger، p 51
[24]/ Ibid. p 51

معا)تحمل دلالة كشفية محضة، وهي أن ندع شيء ما يكشف أو يبصر بالأحرى بذاته مع شيء ما ; أي أن نترك هذا الشيء من خلال الكلام أو البيان أو اللوغوس يكشف عن ذاته بما هو شيء ما.

فالربط كدلالة عن اللفظ karpologos الذي يدل على جاني الفاكهة (قاطف الفاكهة)[25]، هذا المعنى نجده في مفهومية النص (الكلام الصريح في بنية القضية) ، الكلام الذي يبرز، يبرز الشيء كشيء ليس ككلمة منعزلة غير قادرة على ذلك ، ف "ك" توحي ببساطة لعلاقة سببية بين شيء و أخر ، تحدث التبصر داخل الوجود الكلي ، و قد ذكر هذا لأول مرة في " الوجود و الزمان "، على اعتبار وظيفة التبصر " ك" الذي منه هيأ النظرية في الفقرة 33 ، أين حركها هنا كوظيفة كشفية (comme (Apophantisches Als)-(apophantique [26] هذا الإعلان أو البيان فقط هو وضع في النور بالكلام النقي خلافا للصلاة .

و على اعتبار اللوغوس (λόγος) هو البيان أو الإعلان – عن، فمن المهم أن نتخلص من مفهومية البنائية للحقيقة أو فكرة (المطابقة)، فهي بأي حال ليس المقصود الابتدائي لتصور الاحتجاب، فاللوغوس بالمعنى التأويلي (لم- يحتجب)،(αληθευειν)،يعني أن ينتزع الكائن الذي عنه الكلام من محجوبيته داخل حيز القول أو التكلم، باعتباره الإبانة أو الكشف، أن يجعل متبصرا منظورا بوصفه لا محجوبا، وأن يكشف عنه .

فالكلام كفاعلية، تشير إلى البيان (ما يبين) بمعنى الإبانة أو الإظهار، يقول أرسطو طاليس :« إن كدما يحصل في إصدار الأجراس الصوتية هو إبانة لما يلحق النفس من حالات، و المكتوب هو إبانة الأجراس الصوتية ، و كما

[25]/ Ibid. p 52
[26]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger . p 51-52

أن الكتابة ليست واحدة لدى الجميع (جميع الناس) فإن الأجراس الصوتية هي أيضا ليست واحدة لديهم و لكن ما تبينه هاته (الأصوات و الكتابة) في المقام الأول ، أن الحالات التي تلحق النفس واحدة لدى الجميع ، كما أن الأشياء التي تقدم هذه الحالات صورا تطابقها هي أيضا واحدة لدى الجميع » [27] .

يفهم من الترجمة (ما يبين)، انطلاقا من الإبانة، بمعنى الإظهار الذي يكمن بدوره في حدوث الكشف (إليثيا) *.

لقد أشار هيدغر إلى الوجود الحقيقي، بمعنى الإليثيا، فالحقيقة هي الإليثيا، أو الكشف، أو الإبانة، فالوجود الحقيقي للوغوس كإليثيا، ذو وظيفة كشفية .

فاللوغوس باعتباره الكلام، هو« جزء تأسيسي للوجود الخاص بالإنسان في العالم، فالفينومان كونه المتجلي الأن و هنا، بمعنى أنه في العالم، فاللوغوس هو خطاب مع العالم – العالم هنا »[28]، فالإبانة تشكل هذا البناء، وتجعل بكيفيات مختلفة كاشفة أو حاجبة، شيئا ما يتبدى، تجعل ما يبدو يدرك، أو يسمح بتناول ما يدرك، فعلاقة الإبانة بما تبينه تحولت بعد ذلك إلى العلاقة التي تربط العلامة و مدلولها، تمت صياغتها من قبل الإبانة، و من أجلها، وقد أشار بذلك لقول أرسطو :« اللوغوس هو إمكانية وجود الإنسان »[29].

فالكلام إذن، موجه و قبل ذلك اللوغوس، إلى تلك العلاقة التي كانت منذ الزمن الهلينسيتي (الرواقية) تنشأ بواسطة قرار (حكم)، كأداة للدلالة يتم

---

[27] / / مارتن هيدغر . كتابات أساسية . ج2 .ترجمة .إسماعيل المصدق . المجلس الأعلى للثقافة .2003. الطبعة الأولى . القاهرة. ص 176

[28]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger. p 39

[29]/ Ibid. p 39

بموجبها الكشف أو الإظهار، لموضوع حسب موضوع أخر، فأرسطو لم يتحدث عن اللوغوس علنا، بل عن الخطاب على أنه« خطاب شيء حسب شيء أخر »[30] و هو بهذا يقدم مفهوما أساسيا للوجود الإنساني، بحسب هيدغر، على أنه وجود متكلم ; بمعنى أنه وجود يقوم على أنه إمكانية وحقيقة، قادرة على الكلام، لم تبق الدلالة إبانة بمعنى الإظهار، بل تحولت من كونها ما يبين إلى ما يدل، فمنذ الزمن الإغريقي، تمت تجربة الكائن بصفته ما هو حاضر، و نظرا لأن الكلام كائن، فهو ينتمي إلى الحاضر ويتم يصور الكلام على أنه نوع من الفاعلية البشرية، وتبعا لذلك اللوغوس. أما عن إحالة اللوغوس من الكلام إلى القول، ف "قال" يعني أبان جعل الشيء يظهر، يرى و يسمع، فهي تشير إلى أن نتكلم إلى بعضنا، معناه أن نقول شيئا ما لبعضنا البعض، أن نبين شيئا لبعضنا البعض، أوأن نكشف عن شيء ما لبعضنا، أي أن نبين ما يعنيه المتكلم عنه في الكلام الذي نتبادله وما يبرزه انطلاقا من ذاته .

فليس اللا- متكلم هو فقط ما يفتقد، بل اللامقول الذي لم تتم إبانته بعد، ولم يصل بعد إلى الظهور، بل إن ما يجب أن يبقى، غير متكلم يتم احتجازه في اللامقول، و يمكث - من حيث أنه لا يمكن إبانته – في المختفي، فالكلام يعلن الحاضر و الغائب عن الحضور، يقدم ذاته، و يكشف عنها، أو يمتنع، يتبدى أو ينسحب من حيث هو كائن .

و من أجل أن اللوغوس ضرب من البيان، فإنه لا يمكن أن نصفه المحور الأساسي للحقيقة، إن الحقيقي بالمعنى الإغريقي، على نحو أكثر أصلية من اللوغوس، هو الإدراك الحسي أو الإحساس (αίσθησις)، ومن حيث أن الإحساس إنما يرتبط بخاصيات، ويكون عبرها ومن أجلها، كالإبصار

[30]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger. Ibid. p39

بالألوان فهو يكشف دوما عن الألوان، كالإدراك والسماع يكشف دوما عن الأصوات، فالحقيقي إذن بمعنى ما يكشف فحسب، بحيث لا يمكن له أبدا أن يحجب، فهو الإدراك المحض الكاشف عن أبسط تعينات و حيثيات كينونة الكائن، بما هو كذلك فإنه لا يمكن أبدا لهذا الإدراك المحض أن يحجب، وإمكانية كونه وجها من عدم-الإدراك، فيكون ذلك لعدم كفايته الولوج الملائم ناحيةالشيءالمدرك.

ومن هذا كله، فإن وظيفة اللوغوس تكمن في مجرد البيان أي السماح – بإدراك الكائن، وهذا يحيلنا إلى القول أن اللوغوس يمكن أن يدل على العقل، حيث أن اللوغوس لا يستعمل فقط للدلالة على الكلام، أو التكلم، بل في الوقت ذاته يدل على (λεγόμενον) متكلم، ولا يكون ذلك شيئا أخر إلا (υποκείμενον) "قابع تحت" أويكمن ضمن ما هو بوصفه شيئا قائما ، فاللوغوس إذن ; يعني من حيث هو متكلم، أو الأساس القائم أو الشيء الذي هو متخاطب فيه، قد صار مبصرا منكشفا في علاقته بشيء ما .

هذه العودة الفينومينولوجية للوغوس، والكلام كعودة كشفية، وهذا التأويل الكشفي للكلام، وتبعا لذلك للوغوس، هو إمكانية ربما كافية للوقوف ولإيضاح المعنى الابتدائي الوظيفي للوغوس، فهذه الإمكانية التأويلية التي يبسطها هيدغر، يمكن أن نشير إليها على اعتبار استبعاد تعلق مشكل اللوغوس بدلالته اللفظية من جهة، على أساس أن الترجمة التقليدية للوغوس لا تقود، ولا يمكن أن نهتدي من خلالها إلى دلالته الأساسية المتوخاة بوصفها دلالة غير إخبارية، بل دلالة كشفية بيانية تبصيرية ; أي« الكشف عن شيء ما بوصفه شيئا ما » [31]، و على إثر ذلك، ذهب إلى نتيجة مفادها هدم، وتجاوز الطريقة السائدة في تقديم، وفهم، وتخريج

[31]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان .المصدر نفسه ص102

اللوغوس، من حيث أنه يدل على القضية المنطقية بوصفه محور و"موضع" الحقيقة، فالوظيفة التبصيرية الكشفية للوغوس، تشير إلى الحقيقة و الخطأ، مسألة كشف وحجب ; أي أن الحقيقة الوظيفية للوغوس تقبع وراء انكشاف الشيء، بما هو، أو انحجابه بعيدا عن فكرة المطابقة، وعدم المطابقة، فهيدغر في تفسيره للكينونة، أو الكائن الذي يصادفنا داخل العالم، أشار إلى اللوغوس أو الكلام على أنه نمط من الولوج إليه "الكينونة "، فإنه ضمن اللوغوس يصادفنا الكائن، على اعتبار الوظيفة الكشفية للوغوس، في خضم قابلية الكينونة للإدراك ضمن الكلام أو البيان (λεγόμενον)، حيث أن الكينونة تصبح مفهومة بوصفها« ما يكون ومايكون بعد في كل كائن » [32]،إن مخاطبة الكينونة أو مناقشة البيان للكائن، إنما هو ادعاء على، أو إتهام (κατηγορεῖσθαι)، على حد تعبير هيدغر أو كما يقول :« أن نتهم على نحو عمومي ، أن ندعي أمام الملأ على أحدهم شيئا ما، ومستعملا ...اللفظ أن ندعي على الكائن بوجه ما أمام الملأ، ما يكون بعد في كل مرة بما هو كائن » [33]; أي أن نجعل منه متبصرا مرئيا للجميع في الكينونة التي له فالمرئي والقابل للرؤية في الادعاء و الاتهام على حد تعبيره، هي الإحاطة بالحيثيات، والتعينات الخاصة بالكائن، القابل للمخاطبة والمحايثة داخل اللوغوس عبر إمكانات متعددة.

---

[32]/ المصدر نفسه ص101

[33]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان .المصدرالسابق ص102

المبحث الثالث

التصور الإبتدائي للفينومينولوجيا

المبحث الثالث : التصور الابتدائي للفينومينولوجيا

بعد متابعة المغامرة التي خاضها هيدغر، من خلال استشكاله لمفهومي الفينومان و اللوغوس، قادتنا إلى بناء تصور أولي مبدئي، اصطلاحي، ذو أبعاد فينومينولوجية للفينومينولوجيا في حد ذاتها .

إن ضرب هيدغر على مختلف أوتار الفينومينولوجيا، وتتبع مختلف المسالك و الإمكانات التي أتاح من خلالها لنفسه فتح بابا لفهم و تأويل و صياغة تصوره للفينومينولوجيا .

فقد أعطى هيدغر اهتماما خاصا لمصطلحي " الفينومان "و " اللوغوس " و اعلن تنفيذ ذلك في الفقرة السابعة من " الوجود و الزمان "، فالتصور الابتدائي للفينومينولوجيا، قام على اثر الخصائص التي هيأها، انطلاقا من البنائين، فينومان و لوغوس، ومن تثبيت المعنى المركب للمصطلحين، هذه العملية استحقت بجدارة انتباها خاصا، هو ذلك الاقتران الدلالي للفينومان و اللوغوس، بين أحضان الفينومينولوجيا، هي في الحقيقة ليست مقاربة بسيطة لكنها تأسيس لعلاقة خاصة بينهما، حيث بلور هيدغر في تحديده، عملا خاصا فيما يخص المنهج، و في نفس الوقت بيان طريقة الاستعمال، لمفهوم الفينومان، من أجل تحديد وبناء التصور الأولي للفينومينولوجيا، هذا

الاقتران أو الارتباط، يعكس الجمع كما سبق وأن أشرنا، لا الوضع الواحد بجانب الأخر.[34]

فالفينومان حدد في الفقرة السابعة، باعتباره " تجلي " واللوغوس كذلك شرحه، على أنه تبصر أو انكشاف معنى ذلك، إنه " الحاح على الظهور " الربط بين الاثنين يشكلان كلمة فينومينولوجيا، و هو الأمر الواضح .

فمن خلال الاستحضار الذي أقدم عليه هيدغر، عبر تأويله للفينومان واللوغوس، نتج عنه كشف الحجاب عن تلك الصلة والعلاقة الترابطية بين المقصودين المكشوف عنهما لكل من الفينومان و اللوغوس فالفينومينولوجيا هي تبصر ما هو جلي عند الإغريق Legein ta phainomena وأكثر تحديدا Legein يعني apophainesthai (أبوفنطيقي)، ففينومينولوجي يعني apophainesthai ta phainomena، هيدغر حمل خطاب الفينومينولوجيا على أنه« انكشاف انطلاقا من ذات المتجلي باعتباره المنكشف انطلاقا من ذاته » [35]، وعليه يمكن أن تصاغ الفينومينولوجيا كمصطلح يوناني باللغة اليونانية(λεγειν τα φαινόμενα) ، قول الظواهر أو كلام الظواهر، وبما أن الكلام(λεγειν)يعني البيان(αποφαίνεσθαι) فالفينومينولوجي من هذا المنطلق، تعني بيان الظواهر أو الكشف عن الظواهر (αποφαίνεσθαι τα φαινόμενα)، أو بعبارة أخرى البيان عما ينكشف انطلاقا من ذات نفسه ، كما ينكشف انطلاقا من ذات نفسه ذلكم هو المعنى الذي يفهم من الناحية الصورية، لما يعنيه اسم الفينومينولوجيا، هذا إن دل، فإنما يدل على البعد التأويلي للعبارة، الذي يتخذ منحى القاعدة الفينومينولوجية المصوغة (

[34]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger ،p58
[35]/ ibid،p58

نحو الأشياء نفسها).

وعليه يجب أن نعترف، أن التحديد الفينومينولوجي للفينومينولوجيا، بمعنى دقيق، شكل خلافا للثيولوجيا و البيولوجيا، فهي طريقة النفوذ إلى، طريقة التعيين المثبت لما يجب أن يكون، طريقة الولوج إلى ...و لا يقترن عنوانها بالموضوعات، من حيث المضمون المادي، فما يجب أن نعرفه، هو ما هي الفينومينولوجيا باعتبارها المنهج الذي يتطلب الوجود؟ وهو مع ما حمله هيدغر من خصوصيات، من الوجهة التي حاز عليها من الإغريق، بمعنى (هو الذي ينكشف انطلاقا من ذاته) باعتباره تبصر انطلاقا من ذاته، وهو ما يطرح ضرورة المنهج، فالإغريق قالو:« انكشاف انطلاقا من ذاته كونه المتجلي " " faire voir a partire de lui-même ce qui ce montre" هيدغر أضاف " faire voir a partire de lui-même faire voir a partire de lui-même ce qui ce montre ce qui ce montre,tel qu'il se montre a partire de lui-même"هذه الإضافة هي بمثابة إنشاء لحاجة ملحة تعكس الوفاء للمتجلي و منه أزاح هيدغر تلك التفاهة و اصبحت الفينومينولوجيا هي كشف الذي يتجلى انطلاقا من ذاته »[36].

فعلى هذا الاعتبار للفينومينولوجيا، فإنه يجردها من فكرة دراسة الموضوعات أو العلم بالموضوعات المسماة، لا بل يضفي عليها صيغة الإبانة و الكشف عن، ونمط الفحص عما يجب أن يفحص عنه عبر ال(كيف)، ولعل هذا ما عناه هوسرل حين كتب يقول :« إن الفينومينولوجيا وصف خالص لمجال محايد هو مجال الواقع المعاش والماهيات التي تتمثل

[36]/ Tania Pasques - étude sur la phénoménologie de Heidegger ،p59

في هذا المجال » [37]، أما عن هيدغر فإن الفينومينولوجيا ستقوم بدور التأويل ; أي أن كل ما ينبغي فهمه و إيضاحه، إنما يعالج ضمن إبانة مباشرة و هذا هو المعنى الذي تؤديه عبارة (الوصف الفينومينولوجي)،فهذا الوصف، يختلف تمام الاختلاف عن المسلك الذي تؤديه جنس الثيولوجيا وما شاكلها، إنما هو منفذ جديد أخر يؤدي معنى النهي عن كل تعيين و تخصيص فإن صيغة الوصف الخاصة باللوغوس، لا تتجه نحو تحديد (طبيعة الأمر) المقصود بالوصف، فهذا الطابع يسمح لنا أن نسمي الفينومينولوجيا كل إبانة عن الكائن، كما يتبدى لنا في ذاته، أو كما ينكشف في ذات نفسه، وعلى هذا الاعتبار يجب أن نشير إلى الفينومان، أو يحمل الفينومان كمفهوم فينومينولوجي، فيكون المسار نحو ما يجب للفينومينولوجيا (أن تبين) عنه، أو بالأحرى ما هوالموضوع المقصود صراحتا بالإبانة، إنه و بكل وضوح ذلك الذي لا يكشف بالتحديد عن نفسه، محجوب على عكس ما يكشف عن نفسه، ذلك المحجوب الذي ينتمي في ماهيته، و ينضوي وراء ما يكشف عن نفسه، بحيث يعد معناه و أساسه، إنه كينونة الكائن في حد ذاته، فهو الذي يستحق أن يصير فينومانا، و يستحق أن يكون الأمر المقصود بالإبانة، وهو ذلك الذي خصته الفينومينولوجيا موضوعا للدراسة، فلنعاود التأكيد مرة أخرى أن الفينومينولوجيا هي طريقة للولوج صوب ما يجب أن يكون موضوعا، صوب كينونة الكائن، الذي لا يعد من قبيل المظهر، والذي لا يكون أبدا شيئا ينضوي أو يقبع وراء (ما لا يتمظهر)، فموضوع الفينومينولوجيا بإعتباره الفينومان، ليس وراءه أي شيء أخر، إلى هنا دعت الحاجة للفينومينولوجيا، لأن الفينومان بالتحديد

---

[37]/ د . علي الحبيب الفريوي- مارتن هيدغر .الفن و الحقيقة أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا .. دار الفارابي .الطبعة الأولى . بيروت .2008. ص 35

على الأغلب ليس معطى وإلا كان مجرد مظهر أو تمظهر.

وعليه ينظر هيدغر إلى الاختفاء من عدة وجوه، فإما أن يكون الفينومان مخفيا، بمعنى أنه لا يزال غير مكشوف عنه، فهو بهذا يحمل معنى الجهل بمعرفته، أولا- معرفة ; أي يجهل قيامه، أوأن يكون مضمورا مطمورا بمعنى أنه سبقت معرفته ; أي أنه كان قبل مكشوفا عنه لكنه توجه نحو الإخفاء من جديد، وهذا له إمكانية أن يصبح تاما، طبقا للقاعدة الهيدغيرية التي تقول: أن المكشوف منظور على الدوام حتى و إن كان ظاهرا فقط ، فوجود الكينونة مرتبط بوجود الظاهر، والعكس صحيح ، إذ يقول هيدغر :« و قد يمكن أن يكون فينومان ما مطمورا، وفي ذلك أنه كان قبل مكشوفا عنه مرة، لكنه انحط من جديد في الخفاء، وهذا يمكن أن يصبح تام، وهذه هي القاعدة، أن المكشوف عنه لا يزال منظورا، وإن بوصفه ظاهرا فحسب وعلى ذلك بقدر ما ثمة ظاهر ثمة (كينونة) »[38]، وقد يكون الإخفاء شكل من أشكال التنكر، تنكر الكينونة، وهذا الإخفاء هو الأشد خداعا و تظليلا، إذ يقول هيدغر :« إن بنى الكينونة التي يتوفر عليها، ولكن المستورة في أرض موطنها ...فهي تقدم نفسها، على أساس التشابك البنائي لنسق ما بوصفها شيئا غير محتاج إلى مزيد من التبرير » .
[39]

فالإخفاء بمختلف أوجهه، سواء كان بمعنى المحجوبية، أو الطمر، أو التنكر يمكن أن يتخذ صيغا أخرى تتأسس ضمن أنماط أخرى، وضمن مقامات أخرى، للمكشوف عنه، أسماها هيدغر ب(الإخفاءات العارضة و الضرورية)، وقد عبر عن ذلك بحركة الانغلاق و الاختفاء و يطلق عليها

---

[38]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان .المصدر نفسه ص 102

[39]/ المصدر نفسه ص 103

(الاحتضان)، و هناك علاقة أساسية بين الفعل (احتضن)، بمعنى حفظ و حمى و الفعل (أخفى)، حيث أن احتضان الشيء يتم بإدخاله إلى الخفاء، أو تخبئته وتخزينه و ستره، وذلك لا يعني فقط إبعاده عن الإنظار، لا بل يعني كذلك صياغته وحمايته والمحافظة عليه، فالمحتضن هو من يفلت من قبضة التحليل و التفسير، والعكس من ذلك، فما يخرج إلى العالم المضاء فهولا يفقد خفاءه فقط بل احتضانه و حمايته، و يخرج إلى وضعية يكون فيها معروضا و هو ما تكلم عنه هيدغر بصدد الظهور في العالم بالانكشاف، الذي يفهم أيضا باعتباره خروجا عن الإحتضان.
و تبعا لذلك، ينظر هيدغر لكل مفهوم فينومينولوجي للكينونة، صار في المتناول، على أساس أنه مستقى على نحو أصلي، مقول منبأ عنه، ضمن ما أسماه هيدغر بإمكانية المسخ ; أي أن يصبح أطروحة معلقة في الهواء أو كما أشار إليه بفهم الخلاء، فالعجز عن وضع اليد عما كان في قبضتنا (الكينونة)، إنما يعود للعمل الفينومينولوجي في حد ذاته، إذ ينبغي تبعا لذلك أنه ينثني ضمن الذات، أو كما قال« أنه ينبغي له أن يجعل نفسه ناقدا لنفسه في معنى موجب »[40].

و إثر كل ذلك، فوضع اليد على الكينونة باعتبارها الفينومان، مهمة الفينومينولوجيا فحسب، على أن ذلك يصنف ضمن موضوعات الفينومينولوجيا .

فالولوج إلى الفينومان عبر هذه الإخفاءات السالفة الذكر، يستوجب منهجا خاصا و طريقة خاصة لذلك داخل الإدراك و التفسير، الموجه للفينومينات .

و تبعا لذلك يعد الفينومان ذلك المعطى القابل للتبيين، من خلال الكلام أما

---

[40]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان . المصدرالسابق ص 105

الفينومينولوجيا، فهي ذلك النمط الموجه للإبانة و التفسير و البناء المفهومي الذي دعت إليه الحاجة ضمن هذا البحث .

فالفينومان من هذا المنطلق، وداخل الفهم الفينومينولوجي، هو الكينونة التي هي في كل مرة كينونة كائن، فاستجلاب الكائن ذاته، هو مقصد استكشاف الكينونة، ولا يكون ذلك إلا من خلال نمط الولوج، الذي يؤمن الاستجلاب الصحيح للكائن ذاته، الذي يعد منطلق العملية التحليلية الأصيلة .

و مهما يكن، فإن الفينومينولوجيا هي العلم بكينونة الكائن، وذلك يعني أنطولوجيا، وهذه بداية سعي هيدغر إلى توجيه الفينومينولوجيا إلى "مسألة الوجود "، فمن منهج وصفي للموجود، تتحول الفينومينولوجيا إلى منهج تأويلي، يعلق الماهيات و يستدعي أمكانيات الوجود ،« و تلك هي بشارة زرع الأنطولوجيا في الفينومينولوجيا » [41].

و تلك تعد نقلة عميقة في صلب المفهوم، وهوما دعت الحاجة إلى تجديد منهجي يواكب خطوات "الإنهاء الميتافيزيقي "، يكون من شأنها أن تأخذ موضوعا لها، الكائن المتميز أنطولوجيا، ونعني بذلك ما أطلق على تسميته (الدازاين)، حيث تضع صوب عينيها السؤال الأصلي و الأساسي، السؤال عن معنى الكينونة بعامة .

فالمعنى المنهجي للفينومينولوجيا إنما هو التفسير، فاللوغوس في فينومينولوجيا الدازاين إنما يحمل طابع التأويل، الذي من خلاله يتم الكشف و الإخبار عن الكينونة، التي تنتمي إلى الدازاين ذاته .

ففينومينولوجيا الدازاين هي التأويلية، إشارة إلى عمل التفسير أو

---

[41]/ علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا المرجع السابق ص52

الهيرمينيوطيقا في الدلالة الأصلية للفظ، في معنى الاشتغال على شروط إمكان كل مباحثة أنطولوجية، فالهيرمينيوطيقا هي تفسير لكينونة الدازاين فالكينونة تقع وراء كل كائن، وكل تعيين يمكن أن يكون، فهي بذلك التعالي الحق والأشد لتفردها و تجذرها في ذلك، والكشف عن الكينونة باعتبارها ذات تعال مخصوص، هو معرفة متعالية و إنها للحقيقة الفينومينولوجية .

و خلاصة القول كله، فالتصور الأولي الذي يمكن أن نبنيه كفكرة عن الفينومينولوجيا، بالمعنى الفينومينولوجي، هو أن نستبعد فكرة كون الفينومينولوجيا إتجاها فلسفيا، فقد حازت الفينومينولوجيا منذ صدور (الوجود و الزمان) على رؤية تأويلية، هذه الرؤية من حيث هي تحليلية الوجود من أين ينبع و أين يصب و إلى أين يرتد، وذلك لما استدعى هيدغر (الموجد) موجودا أنطولوجيا لفهم الوجود، حيث أن هذا الموجد ليس هو مقصد العملية التأويلية، وإنما عبره و من خلال تأويله يحدد معنى (الوجود العام)، ويصاغ بذلك موضوع (الأنطولوجيا الفينومينولوجية)، ويستبدل هيدغر الأنا الترنسندنتالي الهوسرلي بالوجود الإنساني، ويتحول تأويل الأنا الترنسندنتالي من كونه الوجود المعطى، إلى وجود غير معطى .

و رغم ذلك يبقى فهم الفينومينولوجيا رهين فكرة الطريقة، والنمط الموجهة نحو فهم وتفسير وتأويل الكائن في كينونته، تأويلا صحيحا« إن فهم الفينومينولوجيا إذن يكمن فقط في الإمساك بها بوصفها إمكانا [42] » ، فهي المنهج و الطريقة التي نلج من خلالها و نمسك بالكائن في الكينونة

---

[42]/ مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان المصدر السابق ص 106

الفصل الثانـي

هيدغر و الفهم الجديد للفينومينولوجيا

لم يقبل هيدغر بالتناولات العلمية، ولا حتى باستخدام الماهيات، لتحديد معنى الوجود، فالإسقاط الفينومينولوجي المعرفي، لم يستوعب الرؤية الأنطولوجية لإشكالية الوجود، فبعد أن منح هوسرل الفينومينولوجيا منزعا إبستيمولوجيا خالصا، الذي كان امتدادا للتأسيس الديكارتي، و للنزعة الذاتية وتحت تأثير أزمة العلوم والفينومينولوجيا، تحول هيدغر يالسؤال الفلسفي

من الإبستيمولوجيا إلى الأنطولوجيا، من المعرفة إلى الوجود، وتبعا لذلك أدرك هيدغر أن الموجد حدث قابل للتحول، تظهر ماهيته في غموضه والتباسه، وقد كان مطلب هيدغر أن يستحدث رؤية تأويلية للوجود، تقدم الفهم على التفسير، فالفينومينولوجيا لم تحقق مقاصدها، إلا لما اتجهت إلى الفهم و إلى التأويل، فالفهم كما يقول هيدغر :« الموجد هو الوجود الوجودي لإمكان وجود الموجد، والتأويل هو الاشتغال على الإمكانيات المسقطة في الفهم »[43].

أدخل هيدغر على الفينومينولوجيا عدة تحويرات، ورسم لها استراتيجيات جديدة بعيدا عن التمثل الميتافيزيقي، حيث توجه إلى التحول الفينومينولوجي من لحظته الإبستيمولوجية، إلى مساره الأنطولوجي، ومن العودة إلى الأشياء إلى العودة إلى الوراء، التي كانت أسلوبه في التعامل مع الميتافيزيقا ، فمجاوزة الميتافيزيقا، لا تتم إلا بالعودة إلى الأصول و إلى البدايات، وإلى الحظة التي دخل فيها الوجود الموجد دائرة النسيان، وبالتالي التأسيس لبداية التقويض الميتافيزيقي، الذي بنى عليه مفهوم الحقيقة و الوجود، وهو تهيأ لمحاورة التراث، والتفكير فيما لم تفكر فيه الميتافيزيقا، ومحاولة بعثه من جديد، فهي بذلك بحث عن الأصل، وتقويض للمعتقدات والأراء السابقة ، التي لم تحتمل الراهن، وبالتالي الإسهام في بعث و تجديد الفكر .

فقد سعى هيدغر إلى توجيه الفينومينولوجيا إلى مسألة الوجود، وحمله على التحول من المنهج الوصفي للموجود إلى المنهج التأويلي، الذي يعلق الماهيات و يستدعي امكانيات الوجود، فقد صرح هيدغر بعدم قدرة

---

[43]/ د –علي الحبيب الفريوي مارتن هايدغر "الفن و الحقيقة " أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا – دار الفارابي – بيروت الطبعة الأولى 2008

الفينومينولوجيا الترنسندنتالية على تحقيق مقاصد مجاوزة وتقويض الميتافيزيقا، واقترح فينومينولوجيا معدلة أو فينومينولوجيا تأويلية، بعد أن أقام الحد على هوسرل، لعدم اهتمامه بجانب التأويل، فالظواهر برأيه لا يمكن تفسيرها، بل يجب فهمها وفق وجهة تأويلية .

لكن كيف يتم ذلك ؟ و ما هو الطابع الجديد الذي أضفاه هيدغر على الفينومينولوجيا؟

المبحث الأول

الرؤية التأويلية للفينومينولوجيا

المبحث الأول :الرؤية التأويلية للفينومينولوجيا

اتخذت الفينومينولوجيا منذ صدور "الوجود و الزمان " طابعا جديدا وانفتحت على رؤية تأويلية، وذلك بعد أن استدعى هيدغر (الموجد) موجودا أنطوقيا، لفهم وتأويل الوجود، لم يكن(الموجد) هو هدف و مقصد العملية التأويلية، أوالفهم بل من خلاله ومن خلال فهمه يحدد معنى(الوجود

العام)، ويستساغ تبعا لذلك موضوع (الأنطولوجيا الفينومينولوجية)، ويحول بذلك الأنا الترنسندنتالي الهوسرلي إلى وجود إنساني، فما توصل إليه هوسرل يجب أن يفهم بنظرة تأويلية، فالأنا الترنسندنتالي يجب أن يخضع للتأويل، تأويل يتجاوز ما هو معطى إلى ما هو غير معطى، فقد أنكر هيدغر قدرة الفينومينولوجيا الترسندنتالية على تحقيق مقاصد تجاوز الميتافيزيقا، فكان أن اقترح الفينومينولوجيا التأويلية، فالظواهر لا يمكن تفسيرها، إنما يجب فهمها وفق رؤية تأويلية، إنما كانت حاجة استدعاها (الوجود و الزمان)، من أجل تجديد المنهج، يتوافق و فكرة تجاوز الميتافيزيقا، فحواه النظر في تحولات الوجود الإنساني، والذي بدوره يستدعي خروج الفينومينولوجيا عن القواعد العلمية الدقيقة، فطرح سؤال الوجود يقتضي عودة تأويلية أساسها فهم الموجد، فالعلم التأويلي يستند إلى فهم الموجد كمنطلق لعملية الاستعادة التأويلية .

فاهتمامات هيدغر بالـتأويل تعود إلى اهتماماته بالدراسات التاريخية (هيغل ،شلايرماخر ،دلتاي)، وانصبت اهتماماته كلها على فهم امكانية فهم الوجود، ابتداءا من فهم علاقة الموجد بالعالم، فطرح هيدغر، لا يقف عند فهم الوجود فقط، بل تجاوز ذلك إلى البحث في فهم الموجود وجودا في – العالم- انطلاقا من فهم الإنسان كإمكانية يتجه دائما إلى ما هو أكثر مما عليه ،فوجوده لا يكتمل في أي لحظة، وهي الميزة التي تميزه عن كل الموجودات، لذلك يستوجب البحث عن الإمكانية التي تفتح بالفهم، فهم الموجد لوجوده في – العالم- ثم فهم الوجود أو هما معا .

و حتى نقف على التأويل في تحولاته التاريخية، نحط الرحال عند قراءة النصوص الدينية، أين حرص (ابن رشد)على تأويل النص القرآني، أما الغرب المسيحي فعرف التأويل مع ثورة (اللوثريين)،على سلطة الكنيسة

ودعوا إلى قراءة النصوص المقدسة قراءة تأويلية، ولعلى أول من انتقل بالتأويل من المجال اللاهوتي إلى المجال الفلسفي، هو(شلايرماخر) وعمق هذا التحويل (دلتاي)، لما انتقل من التأويل المكتوب إلى التأويل المرئي، أين وفق بين الفهم وعلم النفس، ما جعل هيدغر يدرك ضرورة الفصل، الفهم والتأثير السيكولوجي كميزة من ميزات الموجد، باعتباره ضمن الوجود، فالفهم عند هيدغر هو نمط وجود الموجد ذاته، وعلى هذا الأساس تم استعمال مفهوم التأويلية باعتبارها الحركة الاساسية للوجود، لأن طبيعة الأشياء هي التي تجعل حركة الفهم شاملة و كلية .

لقد جمع هيدغر بين مسألة التأويل و مسألة الوجود، ابتداءا من (الوجود والزمان)،لأن الوجود لا يقرأ إلا تأويليا نتيجة لبنائه الدلالي، الذي يسمح في كل مرة بانكشاف الوجود، وبيان حقيقته، هذا لا يعنى أن هيدغر دحض فكرة البحث في (حقيقة الوجود)، لا بل كل تجربة في الحقيقة هي تجربة تأويلية، بحيث أنه لم يميز في (الوجود و الزمان) بين الموجد والفهم، حيث يقول أن :« الفهم هو الوجود الوجودي لإمكان وجود الموجد، وأنه لكذلك بطريقة يغلق فيها هذا الوجود على نفسه، ما يكون وجوده قابلا له »[44] .

فالفهم عند هيدغر، على نطاقين اثنين، يدعو في النطاق الأول إلى العودة إلى الوراء، من أجل تملك نسيان الوجود، ودحض كل بداهي في التراث، والدخول في حوار مع تاريخ الفلسفة من الداخل، على غير نمط هيغل والتحرر من سلطة كلام المفكرين، أن نسأل ما لم يسأله أحد خلال سيرورة

1/د. علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة ، أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا //المرجع السابق ص57

الفلسفة، حيث يرفض« أن يكون لكلام المفكرين أية سلطة، نكون في تاريخ الفلسفة أمام مشكل موروث جاهز تمت صياغته من قبل » [45] .

أما النطاق الثاني، وهو ما وضحه في (الوجود والزمان)، والذي يمثل عقبة أمام التفكير في ما لم يفكر فيه، فالميتافيزيقا تشكل عائقا يحول دون إقامة علاقة وطيدة وأصيلة بين الإنسان والوجود، فالتراث الذي يفرض سلطته، يحجب ولا يسمح بإدراك ما ينقله، ويفرغه من محتواه، ويبقيه في مصاف البديهيات، بعيدا عن ما هو أصلي أصيل .

فهيدغر بهذا بحث في الوجود الإنساني، ضمن الإمكانيات الخاصة بوجوده كونه موجودا في التراث، وهذه هي ميزة الفلسفة المفتوحة، وخاصية الفينومينولوجيا التأويلية، عندما تتحول إلى مجموعة من الإمكانيات .

فالتأويل إذن، ليس استعادة الظروف التي أحدثت الإنسان، كما يعتقد البعض وإنما هو استعادة التراث، باعتباره موضوع الإنسانية (استعادة زمانية الموجد)، ورغم كل هذا يظل هيدغر يفكر في فضاء العودة إلى الأشياء ذاتها، رغم تحوله للتفكير في مسألة الوجود، وهو ما تنبأ به هيدغر في مقدمة(الوجود والزمان) بوجود (رؤية فينومينولوجية معدلة) فالفينومينولوجية المعدلة، لم تعد« اتجاها مذهبيا أو رؤية فلسفية، وإنما تتحول بعد التعديل إلى إمكانية مفتوحة لفهم الوجود » .[46]

لقد أضاف هيدغر الكثير للفينومينولوجيا، بل اعطى لها فهما جديدا، حيث استفادت من الهيرمينيوطيقا أو التأويلية .

---

[45]/MARTIN HEIDEGGER Questions 1-2 tr par HENRY CORBIN ,ROGER MUNIER ED/Gallimard /1968 –p285

[46]/MARTIN HEIDEGGER- les problémes fondamentaux de la phénoménologie TR par jean-françois courtine –nrf –ed gallimard 2007 p84

فقد أول هيدغر الظاهرة تأويلا إغريقيا، يدفع بالموجود إلى الانكشاف وبالتالي تتحول الفينومينولوجيا الهوسرلية إلى تأويلية، لم تعد تفسر الظواهر، بقدر ما أصبحت بحث عن إمكانية فهمها داخل التأويل، وبالتالي تأخذ الفينومينولوجيا طابعا ووجهتا تأويلية، مما أعطى لها مشروعية المساءلة الأنطولوجية، و يصبح سؤالها سؤال كل الأسئلة« و هو ما يعني أن الانطولوجيا الأساسية تحتاج إلى الفينومينولوجيا، لطرح أسئلتها الجذرية »[47].

ظل هيدغر يفكر فينومينولوجيا، لأنه في حاجة إلى منهج وإلى أسلوب له القدرة على حمل الإمكانيات الخاصة ب(مسألة الوجود)، غير أنه لم يفكر باستراتيجيات الفينومينولوجيا المتعالية، لا بل اتخذ الفينومينولوجيا الهيرمينيوطيقية، التي تهتم ب(مسألة الوجود)، لقد جمع هيدغر بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا، ولم يميز بينهما وضمن كل منهما استطاعت الفلسفة أن تمتلك شروط أسئلتها .

لم يتجاهل هيدغر جهود هوسرل الفينومينولوجية، رغم ارتباطها بالميتافيزيقا، ورغم عدم اهتمامها بمسألة الوجود، غير أنه لم يعد يفكر بما فكر فيه هوسرل« فمسألة الوجود تحتاج إلى منهج معدل »[48] .

هيدغر لم يخرج عن التقليد الفلسفي الفينومينولوجي الهوسرلي، بمعنى أنه ظل دائما على خطى الفينومينولوجيا، لكن هذا لا ولن يعني أبدا أنه ظل شارحا أو مقلدا، ولا يعني كذلك ولاؤه المطلق لأستاذه، لا بل كان وفاؤه بعيدا عن التقليد الأعمى، فقد حمل لواء الفينومينولوجيا، لكن بطريقته

[47] / MARTIN HEIDEGGER.l' Etre et le temps –trad –R-Boehms et A.de Waelhens-Gallimard.paris.1964- p63

1/ د. علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة ، أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا ،مرجع سابق، ص65

الخاصة و بأسلوبه المعدل، مبررا ذلك باستمرارية إرتباط الفينومينولوجيا الهوسرلية بالميتافيزيقا، وهذا لا ولن يخدم مبادئ تفكيره الجديد، الذي أراد من ورائه تجاوز الميتافيزيقا، وعلى هذا الاعتبار نحى نحوا أخر يدعو فيه إلى التأويل داخل الفينومينولوجيا، حقا لا زال المسار فينومينولوجيا لكن بأسلوب تفكيري جديد، أطلق عليه إسم الفينومينولوجيا التأويلية، إشارة إلى تملك نسيان الوجود و النظر إليه نظرة تأويلية .

لقد حمل الطرح الأنطولوجي الذي نبهه إليه أرسطو، من خلال مسألة الكينونة، ومع ذلك أراد أن يعيد التفكير في الفينومينولوجيا، كما قدمها هوسرل، هذا الأخير بقي أسيرا لفلسفة الذات، كما سبق وأن أشرنا العبء البحثي والمنهجي لسؤال الكينونة، وهي مفترق الطرق بين هوسرل وهيدغر، فبسم "العودة إلى الأشياء ذاتها " صرح هيدغر ذاته، أنه مارس الفينومينولوجيا، انطلاقا من مسألة الكينونة، متسائلا فيما إذا كانت الأشياء ذاتها وعيا محدوسا، أوحتى ذاتا متعاليتا، متسائلا عما إذا كانت الفينومينولوجيا فعلا تسعى إلى جعل الأشياء تتجلى بذاتها، وتسطر المنهج الأقوم للفلسفة، وعما إذا كان السؤال الموجه للفلسفة هو السؤال عن كينونة الموجودات، فالكينونة يجب أن تبقى بصفتها موضوع الفكر، هي الشيء ذاته، فمعطيات الوعي وأفعاله ليست هي المقصود ب "الأشياء ذاتها " بل الكينونة نفسها .

وعلى هذا أصدر هيدغر حكما على فينومينولوجيا هوسرل، بأنها لم تقطع الصلة بفلسفة الذات التي دشنتها الفلسفة الحديثة، بدءا من ديكارت ففينومينولوجيا هوسرل تم تطويرها من طرف هيدغر، فسؤال الكينونة كما جاء في " الوجود و الزمان "، خرج عن التقليد الفلسفي لفلسفة الذات، هذا رغم أن هيدغر يؤكد انتماءه الوفي إلى مبدأ الفينومينولوجيا، إلا أن هذا

الانتماء لا ينظر إلى الفينومينولوجيا بصفتها مذهبا، بل بصفتها إمكانية للتفكير .

هذا التوجه الأنطولوجي الذي خلق الخلاف مع هوسرل، والذي مفاده أن "الدازاين "الذي يحرك النص، ليس هو الذات الديكارتية العارفة، ولا الذات الكانطية المتعالية، ولا الوعي الهوسرلي، كما أن الكشف عن طبيعة ومعنى الكينونة، إنشغال الدازاين، يتعارض والرد الفينومينولوجي، وهذه إشارة إلى أن هيدغر نفى أن يكون موضوعه الذات المتعالية، فاتخاذ سؤال الكينونة كحجر أساس في مهمة تقويض المحتوى التقليدي للأنطولوجيا القديمة، هو أحد المسالك لتحديد طبيعة الكينونة، والذي يقتضي هو الأخر الوقوف على المشهد التاريخي، للكشف عن الشواهد الأولية للمفاهيم الميتافيزيقية، هذه الممارسة جعلت من الزمانية أداة يتم بها التقويض، وقد اعطى هيدغر الزمانية دورا مهما في ذلك .

فتناول سؤال الكينونة يقوم على مهمة تأويل الزمانية، وشرح الزمان بصفته الأفق المتعالي للكينونة، وهذا الاهتمام بالكينونة لا يعني سوى الاهتمام بالأنطولوجيا، الذي حول الفينومينولوجيا من المبحث المعرفي إلى المبحث الأنطولوجي، لتصبح الفلسفة أنطولوجيا فينومينولوجية، تنطلق من تأويلية الدازاين، بصفتها تحليلا للوجود، تسعى إلى البحث في بنى الكينونة، التي تظهر من خلال بنى الوجود الإنساني، هذا التوجه الجديد يتم بتحويل الفينومينولوجيا التي تظهر من خلال بنى الوجود الإنساني، هذا التوجه الجديد يتم بتحويل الفينومينولوجيا إلى فينومينولوجيا تأويلية، طالما ظلت ظواهر الوجود الإنساني لصيقة بالممارسات التأويلية، وما دام سؤال الكينونة يشكل التأويلية، وما دام سؤال الكينونة يشكل انشغالا الدازاين، الذي يتحول هو الأخر إلى كائن تأويلي، هذا التحول الذي عرفته

الفينومينولوجيا كفهم جديد، والذي صار يعرف بالانعطاف التأويلي، بعد أن كانت التأويلية تنحصر في استراتيجية فهم النصوص .

أكسب هيدغر الفينومينولوجيا رؤية خاصة، تتجاوز الأسس التقليدية وتدحض الأساس الميتافيزيقي للوعي، ونظر إليها على أنها أسلوب يحول المنحجب إلى منكشف مرئي قابل للوصف وللتأويل، فالفينومينولوجيا« لا تفهم من خارج وحدة، لأن اللوغوس هو الأساس الذي يجعلنا نرى ما كان محجوبا، فهو يدفع بالمنحجب إلى الخروج من إنحجابه »[49] .

هيدغر لا يمارس التفكير الفينومينولوجي إذن لذاته، بل يتخذه أسلوبا في مقابل فلسفة الوعي، وتحولا راديكاليا لما تحمله الفلسفة التأملية .

لقد حققت الفينومينولوجيا مع هيدغر مجموعة إمكانياتها باتجاهها إلى الفهم والتأويل، فمن منهج وصفي للموجودات اضحت الفينومينولوجيا منهجا تأويليا يعلق الماهيات، ويسعى للإمساك بإمكانيات الوجود والتحرر من الوعي الذاتي، ومن الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، و قد اعتبر "بول ريكير "المحاولة الهيدغيرية« طريقا قصيرة لكونها أنطولوجيا مباشرة استقدمت التأويل إلى حقل الفينومينولوجيا »[50] ، انطولوجيا الفهم، انطولوجيا الموجود المتناهي، الفهم كنمط وجود لا كنمط معرفة .

1/ د. علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة ، أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا ،مرجع سابق، ص66 .

2/ د. علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة ، أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا، مرجع سابق ، ص66

المبحث الثانى

الفينومينولوجيا كإمكانية مفتوحة لفهم الوجود

المبحث الثاني :الفينومينولوجيا كإمكانية مفتوحة لفهم الوجود

إن التوجه الجديد الذي اتخذه هيدغر، والفهم الجديد الذي أضفاه على الفينومينولوجيا، جعل منها فينومينولوجيا انطولوجية، تقوم على الفهم والتأويل، فهم ما تم نسيانه قبل، وتأويله، على خلاف فينومينولوجيا هوسرل ،التي ابدت استمرارية ارتباطها بالذاتية.

لم يكن هذا التوجه أمرا عدميا، بل كان له خلفياته، وامتداداته، تعزوها عودة هيدغر المعتادة إلى الإغريق، في خضم استكمال مشروع مجاوزة الميتافيزيقا، ليفتح بذلك الباب لمسألة، اعتبرها عمودا فقريا، في اطار بعث مشروعه الفينومينولوجي المعدل، على غرار ما سهت عنه الفينومينولوجيا الهوسرلية .

فقد اتخذ التوجه الجديد لهيدغر نحو الفهم والتأويل من مسألة الكينونة مسألة فلسفية أساسية، من خلال تسخير كل الإمكانيات لفهم الوجود، وبذلك أنزل الفينومينولوجيا إلى ساحة البحث عن حقيقة الوجود، وتسخيرها كمنهج

للولوج نحو بعث الوجود إلى الإنكشاف بعد الإنحجاب الفكري الذي فرضته عليه لغة الميتافيزيقا ردحا طويلا من الإغفال و النسيان .

فالفينومينولوجيا بهذا المنظور، تعمل على جعل الأشياء تتجلى بذاتها، والأشياء ذاتها المقصود منها الكينونة،« فالتأويل الفينومينولوجي كان اشتغالا على الإمكانيات المسقطة في الفهم ».[51]

فقد اصر هيدغر على توسيع دائرة التأويل، والانتقال بها من فهم النصوص إلى فهم الوجود، فهو بذلك سبق الوجود كأولوية أنطولوجية من حيث لا يظهر الموجود إلا ضمن مجموعة من العلائق، التي تربطه به فمسألة فهم الوجود هي موضوع السؤال التأويلي .

كان هيدغر حريصا على فهم الوجود - في – العالم، بعيدا عن الإنصات للأخر، فالوجود و الزمان لا يطرح مسألة فهم الوجود فحسب، بل يتعدى ذلك إلى فهم الوجود« مشروعا ملقى - في – العالم متجها في الزمان نحو الإنكشاف الأنطولوجي »[52]

فقد تحدث هيدغر عن الموجود، وجودا – في – العالم، داخل زمانية خاصة تسمح له بالانفتاح على الأخر، وهو ما يعكس خصوصية التوجه الفكري الهيدغري، ومشروعه الفلسفي، لكن السؤال الذي يظل يطرح نفسه ما الدافع الذي حرك هذا المشروع ووضعه في هذا الاتجاه، الذي يستقل عن الإرث الفلسفي الغربي بكامله ؟.

لقد صرح هيدغر أن السؤال عن الوجود وراء ذلك، فقد استهل كتابه "الوجود و الزمان " بالسؤال عن معنى الوجود، ولخص هذه المسألة في

---

[51] / MARTIN HEIDEGGER -l'être et le temps .p71

1/ د. علي الحبيب الرئوي- الفن والحقيقة المرجع السابق ص54

مهمتين اثنتين، كما سبق و أن أشرنا، المهمة الأولى تقوم على تفسير الأنية من الجهة الزمانية، والثانية تمثلت فيما أسماه " التحطيم الفينومينولوجي " لتاريخ الأنطولوجيا في ضوء مشكلة الزمانية، وقد لجأ لدراسة مسألة الوجود إلى المنهج الفينومينولوجي، الذي يقوم على القاعدة التي مفادها "نحو الأشياء ذاتها "، والفينومينولوجيا كمنهج تجد كل معناها في الهيرمينيوطيقا، كما أن القصدية المنهجية الفينومينولوجية تجعله هيرمينيطيقيا بالضرورة، على اعتبار أن الفينومينولوجيا يجب أن ينظر إليها، أويجب أن تفهم باعتبارها التفسير الهيرمينيوطيقي للوجود، أو بالأحرى مهمة الفينومينولوجيا تسير في خط مواز ومماثل لمهمة الهيرمينيوطيقا، فمسألة الوجود تستدعي المنهج الفينومينولوجي، وتتداول عبر التحليلات اللغوية، وبالتالي ترتبط مشكلة الوجود بالفينومينولوجيا، والهيرمينيوطيقا، وحل هذه المشكلة على علاقة طردية بحل مشكل العلاقة بين الفينومينولوجيا والهيرمينيوطيقا، وتبعا لذلك أطلق على فينومينولوجيا هيدغر "الفينومينولوجية الهيرمينيوطيقية ".

إن فكرة السؤال عن الوجود، باعتبارها الدافعية في فكر هيدغر، لها ما يسبقها في التصنيفات الفكرية الهيدغيرية، إذ أن السؤال عن الوجود لا يمكن أن نطرحه إن لم نطرح السؤال عمن يطرح السؤال ذاته ; أي أن طرح سؤال الوجود يحيلنا قبل كل شيء إلى الكشف عن الموجود، الذي يسأل من جهة معناه، فهذا الذي له زمام الإمكانية لطرح السؤال عن الوجود و معناه هو الموجود الإنساني، الذي تخلى هيدغر وانصرف عن تسميته

ب" الذات "خلافا للذات الديكارتية، وراح إلى تسميته باسم "الدازاين" [53] الذي لا مناص من صعوبة ترجمته .

فمن هذا المنطلق يعتقد هيدغر أن فهم الوجود ذاته يستدعي قبل ذلك تحليل الموجود الإنساني، وقد كان المنهج الفينومينولوجي هو الوسيلة التي استخدمها في تحليلية الموجود الإنساني، وهو بذلك قد نقل الفينومينولوجيا من الدائرة الإبستيمولوجية إلى دائرة الأنطولوجيا، وهنا تظهر فرادة التوجه الهيدغري، عبر هذا التحول الفينومينولوجي، على خلاف هوسرل الذي ظل طيلة مشواره الفكري يستخدم الفينومينولوجيا على أنها أداة إبستيمولوجية، لا علاقة لها بالأنطولوجيا، وذلك في استخدامها لدراسة نمط وجود الأشياء في حقيقتها في المنطق "المنطق الصوري و المنطق الترسندنتالي " سنة 1929م، فإن محاولته هذه كانت مجرد انطولوجيا صورية« أنطولوجيا للموجودات والأشياء، لا للوجود الإنساني » [1] ;أي أن هوسرل صب جم ثقل الفينومينولوجيا في الوعي (الذات الترنسندنتالية) وعلاقته بالعالم، على خلاف ذلك توجه هيدغر إلى الوجود الإنساني، وعلاقته بالعالم، بمعنى أن هيدغر توجه بالقصدية إلى مجال الفعل .

لقد سبق وأن أشرنا أن هيدغر استخدم المنهج الفينومينولوجي في تحليلية الوجود الإنساني، باعتبارها الأسلوب الوحيد والأنسب القادر في نظره، والإمكانية المتميزة التي تقربنا من الوجود، فالأنطولوجيا على هذا الأساس لا إمكان لها إلا باعتبارها فينومينولوجيا، وتعد بذلك الفلسفة عند

1 / أشرف حسن منصور ،أنطولوجيا الوجود الإنساني بين هيغل و هيدغر ، مجلة الفلسفة و العصر ، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة المصرية ، العدد الثالث 2004-2005، ص210

هيدغر« أنطولوجية فينومينولوجية، الوجود مضمونها، والفينومينولوجيا منهجها الذي تستخدمه لتوضيح معنى الوجود و تفسيره ».[54]

لقد استطاع هيدغر أن يثبت قدرة الفينومينولوجيا باعتبارها منهجا فكريا، وأن تكون إمكانية مفتوحة لفهم الوجود، يصح تطبيقها في حقل الوجود الإنساني، فما كان من فعلها أن تتقصى أبعاد الوجود الإنساني، بصيغة فعلية في واقعيته، من خلال حياته اليومية، فهو بذلك اعطى دفعا جديدا« للفلسفة وانفتاحها الواسع على حياة الإنسان المتحقق في الواقع الفعلي »[55] .

لقد وضع هيدغر الفينومينولوجيا كمنهج، وأنزلها إلى عالم التطبيق على سكة الوجود، الموضوع الأوحد الذي لطالما طرحته الفلسفة منذ بدايتها اليونانية، وبالتالي وجه مهمة الفيلسوف إلى زاوية إيضاح معنى الوجود، لا لاعتباره هو الوجود، لا بل كونه موجود، ويشارك في الوجود، وعلى صلة به، فالوجود بهذا المعنى ليس موضوعا يتناوله الفيلسوف بين يديه بعيدا عنه أو منفصلا عنه كغيره من الموضوعات، وإنما يحيط به و يؤلف كيانه، باعتباره ظاهرتا من ظواهر الوجود، مندمج في الوجود، فهو بذلك نفسه موضوعا للبحث .

و من هذا الافتراض، انطلق هيدغر من الموجود، نحو وجهة فهم الوجود، من تحليلية الوجود إلى فهم معنى الوجود، فوجود الإنسان هو الذي ينبغي أن نبدأ به البحث، باعتباره نقطة ارتكاز للبحث في معنى الوجود .

---

(1) محمود رجب ، لمحات عن فلسفة هيدغر ضمن "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلدرلن و ماهية الشعر " ترجمة فؤاد كامل و محمود رجب ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة 1974 ص 25

1/ إبراهيم أحمد ، إشكالية الوجود والتقنية عند هيدغر ، منشورات الإختلاف ،الدار العربية للعلوم –ناشرون الطبعة الأولى 2006 ص69

فمسيرة البحث في الوجود، يجب أن تبدأ بتحليل وجود الإنسان أولا، هذا التحليل الأنطولوجي، يجب أن يوضح وجود هذا الموجود، الذي يتساءل عن الوجود .

فالإنسان هو الموضوع الوحيد الذي فيه يظهر فهم الوجود، وفي هذا الصدد

يقول هيدغر في مؤلفه الشهير (الوجود و الزمان) :« إن ماهية الإنسان جوهرية بالنسبة إلى حقيقة الوجود ».[56]

إن الإنسان باعتباره موجودا واعيا بوجوده، هذه الملكية للوعي يسميها هيدغر ب"الآنية " [57] (D-sein) [58] أو الوجود – هناك، أي الوجود في العالم، وهذه العبارة لا تؤدي المعنى المكاني فقط بل أيضا المعنى الأنطولوجي، والذي ينظر إليه هيدغر على أنه الوجود كما يتجلى أو سيتجلى، و الذي أشار إليه مونييه على أنه جزء من (Làletheia) وهو المقصود به الحقيقة عند الإغريق[59]،هذا ما سعت خلفة الفينومينولوجيا الهيدغيرية كإمكانية موجهة لفهم الوجود، هذا الدازاين كملكية إنسانية تبقى مهمة البحث الأنطولوجي الكشف عن الوجود الإنساني، هذا الكشف الذي ينطلق من الإنسان أو الوجود الإنساني، الذي يتفاعل مع الوجود من خلال تجربته اليومية الحية، والذي لم يعد مجرد ذات عارفة كما أشار إليها من

---

[56] MARTIN HEIDEGGER/ l' Etre et le temps p57

(2) إبراهيم أحمد إشكالية الوجود ، المرجع السابق ص 72

(3) الحد الزمني الفاصل بين الماضي و المستقبل و الواصل بينهما في وقت واحد ، و(الآن) بالنسبة إلى الفكر الواعي ، هو وحدة لا تتجزأ ، وقد قال بعضهم باستقلال آنات الزمان و تعاقبها ، وهو نوع من المذهب الذري في الزمان ، وقد قال أخرون باتصال آنات الزمان ، معجم المصطلحات الفلسفية ، عبده الحلو ، المركز التربوي للبحوث و الإنماء ، مكتبة لبنان

(4) LE MOT DASEIN :ce terme qui se compose de DA ,Là, et de sein .être .n est pas un terme spécifiquement philosophique. Est l'infinitif substantive du verbe dasein être présent qu'il s'agisse d'abord d'un verbe .

قبل هوسرل، وقبله ديكارت والفلاسفة الذاتيون، لا بل معايشا للعالم موجودا فيه بين الأشياء و ليس عارفا لها .

وعلى هذا فمفهوم الدازاين، يؤدي معنى كينونة الموجود الإنساني وكيفية وجوده الغير مستقرة، تبعا لتبدل العالم، وبالتالي يصبح وجود الإنسان ذاته إمكان وجود .

لقد حققت بذلك الفينومينولوجيا الهيدغيرية إمكانياتها و مقاصدها الموجهة لفهم و تأويل الوجود، بعيدا عن كل التناولات العلمية والاستخدامات الماهوية لتحديد معنى الوجود، فالوجود لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم صارم و دقيق حسب، هيدغر ما دام هذا العلم لا يدرك ذلك الاختلاف الأنطولوجي ولا يهتم بالأنطولوجيا علما للوجود، وعليه أدخل هيدغر على الفينومينولوجيا استراتيجيات وتحويرات جديدة، بعد أن أدرك بواطن الفراغ في المحاولات السابقة عليه وبالأحرى المحاولة الهوسرلية التي لم تكن قادرة على استعادة موضوع الأنطولوجيا، فسعى إلى توجيه مسار الفينومينولوجيا وجهة أنطولوجية والخوض في مساءلة الوجود، كمشروع طموح لتجاوز دعوة امتلاك اليقين الجاهز إلى التأويل، من خلال استراتيجية السؤال المتجدد عن حقيقة الإنسان في هذا الوجود، ليتحول السؤال من ماذية الفعل الموجه للفهم إلى إمكانية الفهم، لأن مقصد المشروع التأويلي هو وضع الإنسان في الوجود موضع السؤال، باعتباره يسأل ويؤول ويفهم الأمر الذي يسير بالفلسفة إلى تحقيق مقاصدها، في خضم مشروع تجديد الفلسفة مع هيدغر .

هذا الإجراء المنهجي الذي يقدمه لنا المشروع الهيدغري، يهدف عمليا إلى تحقيق الكائن لكينونته كإمكانية، هذا ما أضاف هيدغر للفلسفة وهو ذلك

الطابع التحليلي الأنطولوجي، الذي جعل الذات تتعدد إلى ذوات والحقيقة إلى حقائق لا ينتهي تأويلها تبعا لنمط الوجود الذي يدحض الثبات وتنتفي معه القاعدة والمعيار ويختفي معه الأصل الخالص المتعالي، إنه التحول من نمط في المعرفة إلى نمط في الوجود، إنه تعبير عن التأسيس لتجربة الإنسان في العالم، عبر الفهم و التأويل .

فمن هذا المنطلق حاول هيدغر جاهدا رد الاعتبار للوجود من منظور تأويلي، وهنا تتجلى فرادة الرؤية الهيدغيرية التي سلطت الضوء على كينونة الوجود، كونه ظاهرة موجودة تحتاج إلى إزاحة الغبار عن حضوره و إخراجه من دائرة الذاتية المتعالية ومركزية السلطة في اكتشاف الأشياء، فهيدغر يرى في العالم :« الوسط الحيوي للوجود الإنساني، ورأى في تاريخيته وزمانيته مفاتيح لفهم طبيعة الوجود »[60] وبهذا يغدو مشروعه تحول من إبستيمولوجيا التأويل إلى أنطولوجيا الفهم، وهو التصور الهيرمينيوأنطولوجي للمنهج الفينومينولوجي عند هيدغر .

لقد تجاوز هيدغر من فهمه بما هو فهم للوجود الصيغة الهوسرلية أو قصدية الوعي، وتوجه نحو قصدية الوجود الإنساني، هذا الفهم الذي يسمح للظواهر بالتجلي ذاتيا بعيدا عن الأنا الترنسندنتالية، هذا الفهم الذي يكشف الوجود من حيث هو ظاهرة لأن حقيقة الوجود كما يقول هيدغر :« سابقة على الوعي و المعرفة الإنسانية، وأكثر منها بداءة و أساسية »[61]، فهيدغر بهذا المنطق يجاوز السياق الهوسرلي، كون المفاهيم الهوسرلية أدوات إجرائية تقف عند حدود الفينومينولوجيا كمنهج، أرادها هوسرل أن تكون كذلك، فالفينومينولوجيا الهيرمينيوطيقية باعتبارها وضع جديد، هي بمثابة

---

[60]/ عادل مصطفى ، مدخل إلى الهرمينوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر) ، دار النهضة العربية ، بيروت ' ط الأولى ' 2003 ، المرجع نفسه ص149

[61]/ مدخل إلى الهرمينوطيقا ، المرجع نفسه ص149

ثورة منهجية داخل حقل الفينومينولوجيا، فوصف موضوع الحدس المباشر تم استبداله بتأويل معنى الخفي المتواري في كل علاقة ظهور وانكشاف للشيء ذاته، فلم تعد الذات هي التي تجلب الأشياء إلى العالم وتخرجها من الخفاء إلى التجلي، بل أصبح العالم حسب التصور الهيدغري هو الذي يخلق السياق الذي به يحدث الفهم المسبق للوجود .

من هذا المنظور يصبح المنهج الفينومينولوجي مع هيدغر في سياق الأنطولوجيا الأساسية، إمكانية مفتوحة لفهم الوجود وتأويله، على خلاف التوجه الهوسرلي الذي حملت فيه الذات المتعالية لواء كشف الأشياء وإظهارها، فالفينومينولوجيا في مشروع هيدغر إمكانية مفتوحة تترك الشيء يظهر ويكشف عن نفسه، ويخرج من انحجابه على أنه ذلك الشيء لا غيره، وتبقى الذات مصاحبة لعملية الانتقال من التواري والتحجب إلى الكشف والظهور في إنصاتها للعالم وتركها له يفصح عن حاله .

إذا فخصوصية الرؤية الهيدغيرية تكمن في الالتفات إلى ظواهر الوجود بوصفها أشياء متخفية سواء بشكل مخادع مزيف أو أنها أخفيت طوعا وكرها، وهذا هو الدور المركزي للهيرمينيوطيقا كنشاط تأويلي يقوم به الكائن البشري، من أجل فهم الوجود انطلاقا من فهم وجوده الخاص كونه دازاينا أو وجودا هنا له أسبقية أنطولوجية على الأشياء أو الظواهر في الوجود .

من هنا نفهم لماذا يتحدث هيدغر عن بنية الميتافيزيقا، على أنها ترى في العقل مجموعة من الأنشطة التجريدية – الصورية التي تقوم ببناء مجموعة من العلاقات تؤسس فعل التمثل أو الرؤية لأنها تنظر إلى ما يؤسس وجود الموجود باعتباره سببا أولا هذا الذي سمي تارة لوغوس وتارة أخرى

جوهرا أو ذاتا وتنظر إلى الموجود في كليته ووحدته وتعاليه بوصفه سببا ثانيا، وعلى هذا الأساس تشكلت ماهية الميتافيزيقا بصفتها فكرا نسي الوجود كموضوع .

و خلافا لذلك يفكر هيدغر في مسألة الوجود من منظور مغاير، فهو يقول «إننا نتساءل هنا عن شيء ندركه بصعوبة بالغة، يبدو أنه مجرد لفظ وهو يعرضنا للوقوع ضحية نوع من الاعتباطية اللفظية، ولذلك يتحتم علينا أن نوضح كيفية تعلقنا بالوجود وفهمنا للموجود، و الشيء الأساسي هو أننا لا نستطيع أن ندرك وجود الموجود إنه لا من خلال الموجود ....أوفي أي مكان.» [62]فحقيقة الوجود يتحتم اعتبار إشراقته أو نوره الذي يتميز بالتواري والانسحاب وليس بالحضور« فالفكر لا يفعل إلا باعتباره ينقل حقيقة الوجود و يحملها إلى الكلام» [63].

[62]/ M.Heidegger .Introduction à la métaphysique .trad. par gilbert kahen .édition .presses universitaires des France .paris 1958

[63]/ MARTIN HEIDEGGER –Questions 2 trad.de l'allemand par Henry Corbin .Roger Munier .Alphonse de Waelhens. Walter Biemel .Ge'rard Granel.Andre' Preau- nrf – GALLIMARD 1968 P 45

المبحث الثالث

المعنى المنهجي للوصف الفينومينولوجي

لقد مثل اهتمام هيدغر بالوجود اسهاما كبيرا في التأسيس الهرمينيوطيقي ويعد بذلك إنجازا فلسفيا هاما، تقومت على إثره حال الهرمينيوطيقا مشروعا أنطولوجيا خارج الحدود التي رسمها هوسرل، والقائمة على مركزية الذات ، كان كل ذلك سعيا من هيدغر لتأسيس منهج موضوعي في العلوم الإنسانية، من أجل فهم الحياة في ضوء الحياة ذاتها، فهو في سعيه الحثيث هذا كان يصبو إلى رفع الهرمينيوطيقا إلى مصاف التأمل الفلسفي من خلال رد الاعتبار للوجود من منظور تأويلي أي الغور في الأشياء ذاتها أو العودة إلى الأشياء في بداياتها الأولى تتبعا كشفا وفهما، بعدما كانت الذات المتعالية وراء ضمر حقيقته وتجاهلت كل أدواره وفاعلياته في كشف النقاب عن كينونته إلى جانب اعتباراتها الهامشية كالأحكام المسبقة والتوجهات والانتماءات الإيديولوجية .

هيدغر أراد أن ينقذ الوجود، باعتباره فاعلية مركزية في الكشف عن حقيقته خارج جدلية الذات والموضوع، و من بين أنياب الذات المتعالية التي سلطت مركزيتها ردحا من الزمن، لينقي حقيقة الوجود من شوائب الذاتية .

وهكذا فإنه بإمكان الكائن أو الموجود أن يظهر أو ينكشف من محض ذاته، وعبر طرق متعددة ووسائل شتى تفتح لنا المجال للاقتراب من ذلك الذي ينكشف أو يظهر، والولوج إليه، لكن هذا الانكشاف أو الظهور يجب أن يكون على النحو الذي يكون عليه الشيء لا على نحو آخر مغاير، ومن هذا المنطلق ينظر هيدغر إلى الفينومينولوجيا على أنها« كشف الوجود أو أسلوب وجود الموجود، أي أنها ذلك المنهج الذي يجعلنا نرى ما يكون

محجوبا، ويعمل على كشفه و استخراجه من خفائه، أي جعله لا متحجبا »[64] وعلى هذا الأساس كانت الفينومينولوجيا الهيدغيرية إمكانية حقا مفتوحة لفهم الوجود، كطريقة للولوج داخل الوجود على اعتبار العودة إلى الأشياء ذاتها، فهي تعنى أن« نترك الأشياء تظهر على ما هي عليه »[65] أي أن الأشياء هي التي تكشف عن نفسها في مقابل ما اعتدنا عليه في الفلسفات الذاتية أين يقف المعنى عند كوننا من نشير إلى الأشياء، لكن السؤال المطروح هو كيفية تكشف الأشياء من عن ذاتها ؟ .

يرى هيدغر أن الأشياء تكشف عن نفسها من خلال " الفهم "، هذا الأخير أي الفهم الذي صرح بشأنه هيدغر أنه أسيء فهمه من الأساس، وهي إشارة منهجية أخر إلى القاعدة الأساس العودة إلى الأشياء ذاتها كإجراء عملي اتخذه هيدغر لتتبع حقائق الأشياء واستقصائها كعادته ليحدث تغييرا هو الآخر في أسلوبية التعامل مع إحدى الإمكانات المتبعة في تحديد حقيقة الوجود ليسقطهاعلى عملية الفهم وذلك عن طريق الوصف الفينومينولوجي للفهم لا كشيء يمكن تحصيله وامتلاكه ولا كوسيلة لامتلاك العالم ولا كصفة من صفات الوعي، ولكن ينظر إليه كحال أساسية من أحوال الدازاين ، فهيدغر ينظر إلى الفهم كنمط من أنماط وجود الدازاين إذ يقول :« إن نمط وجود الدازاين يتمثل في أنه وجود فاهم لذاته »[66].

هذا إن دل فإنما يدل على أن هيدغر بمحاولته هذه أراد أن يقف على طبيعة الفهم بأسلوب أفضل تاركا وراءه تحليلية موصفاته ليضعه في حيز الأنطولوجيا على أنه خبرة أساسية خبرة الوجود في العالم، وهو يحاول أن يقدم وصفا فينومينولوجيا لهذه الخبرة في تكشفها، على اعتبارها فهما مسبقا

1/ سعيد توفيق : الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية) ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2002 ، ص 82

2/د. عادل مصطفى- فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينيوطيقا، مرجع سابق ص 153

3/ أشرف حسن منصور- أنطولوجيا الوجود الإنساني بين هيغل و هيدغر- المرجع سابق ، ص 225

، على أن هذا الفهم يجب أن يكون خلال العالم كون الإنسان ليس ذاتا عارفتا منعزلة تدرك وجودها أولا بل كونه ضمن العالم فهو يدرك العالم انطلاقا من خبراته و اهتماماته، على أن الفهم مدمج في العالم لا على أن العالم منفصل عن النفس ضمن الجدلية القديمة التي تصور علاقة الذات بالموضوع و هو ما لا يقر به هيدغر و يرفض تلك الثنائية و يصرح أن الآنية (الدازاين) باعتبارها وجودا – في – العالم، لا تحتاج إلى الموجودات كونها مع الموجودات في هذا العالم ولذلك يحتاج إلى تأويل هذا النشاط الذي هو تأويل، والتفسير هو بمثابة الوصف الفينومينولوجي للفهم، وهو ما يختص به الوجود البشري الذي يحاول فهم الوجود من خلال فهمه وجوده نفسه .

فهذا العالم يكشف نفسه للإنسان من خلال عملية الفهم والتأويل، وعلى هذا الاعتبار يتحول الوجود الإنساني من إلى عمليات من الفهم، فهم الظواهر وتأويلها، ولا يتم ذلك إلا من خلال اللغة باعتبارها مجال الفهم، فالإنسان يفهم ويفسر ويؤول من خلال اللغة لأن اللغة هي التجلي الوجودي للعالم تكشف المتحجب وتبرز خفائه فالوجود يكشف ذاته من خلال اللغة وهذا هو بيت القصيد في معنى الوصف الفينومينولوجي .

و من هنا فإن عنوان الفينومينولوجيا لا يوحي إلا توضيح "كيف"، الذي يؤدي الإبانة ونمط الفحص والاستقصاء لما يجب أن يفحص على أنه الإمساك بموضوعات هذا الذي يؤدي الوصف، فكل ما يجب تبيانه يجب أن يعالج ضمن الإيضاح المباشر، وما عبارة الوصف الفينومينولوجي في أساسها إلا هذا المعنى نفسه :« إنما الوصف هاهنا مسلكا من جنس

مورفولوجيا النبات – بل إن للعنوان معنى النهي –استبعاد كل تعيين ليس يجري مجرى الإشارة »[67].

فعلى إثر ذلك« فالفينومينولوجيا تعنى كل ما ينتمي إلى نمط الإبانة والتفسير »[68]، فالمهمة الأولية المتعلقة بتحقيق فينومينولوجي للكائن بوصفه الأرضية لهذه التحليلية مرتبطة بالغرض الذي من شأن الفينومينولوجيا أن تقوم باعتبارها العلم بكينونة الكائن وهي الغاية التي استدعيت من أجلها الأنطولوجيا التي اتخذت الكائن المتميز موضوعا لها ونعنى بذلك " الدازاين " ويصبح بذلك السؤال الأوحد معنى الكينونة، تبعا لذلك فإن المعنى المنهجي للوصف الفينومينولوجي هو التفسير، ففينومينولوجيا الدازاين تحمل اللوغوس طابع التعبير والتأويل فهو يعبر عن ويؤول ويخبر عن الكينونة كينونة الكائن الذي ينتمي دازاين ذاته، فالمعنى الذي تؤديه الفينومينولوجيا فينومينولوجيا الدازاين لا يخرج عن كونه هرمينيوطيقا بالعودة إلى الأصل الدلالي للفظ ومنه يؤدي معنى التفسير باعتباره يؤدي عمله أي عمل التفسير كونه يوحي بالكشف عن الأفاق التي هي من ضمن غايات كل استقصاء انطولوجي، وبالتالي تتحول الهرمينيوطيقا إلى معنى للإشتغال على مختلف الإمكانات وشروطها الخاصة بالتحليلات الأنطولوجية .

لنعد من حيث بدأنا وكما لا يخفى علينا فقد فعلت الفلسفة الهوسرلية فعلها في الذهنية الهيدغيرية فقد كان هيدغر من المنهجية في كثير من أوصافه فينومينولوجيا، فكان منهجه الوصف الفينومينولوجي هذا رغم الاختلاف الحاد بينه و بين أستاذه هوسرل، حيث كان هذا الأخير يركز على الماهية

1/مارتن هيدغر- الكينونة و الزمان ،المصدر السابق ،ص 99

2/ المصدر نفسه، ص102

ويتطلع إلى التفكير في الفينومينولوجيا كعلم في حين ركز هيدغر على الوجود حيث يرى أن هذا الوجود الذي غيب و تناسته الفلسفات الذاتية سابق على الماهية واعطى له أهمية خاصة بعكس هوسرل الذي يرى بضرورة البدء بالبحث في الماهيات، إلا أنه ورغم هذا الاختلاف فقد وافق هيدغر أستاذه في فكرة الاكتفاء بوصف الظاهرة كما تظهر نفسها، وإلى جانب ذلك ابدى رفضه القاطع في التوجه المثالي الذي قد يكون تسرب إلى الفينومينولوجيا .

وبهذا المنطق أصبحت فينومينولوجيا هيدغر وصفية من حيث المبدأ لكنه وصف ليس بالساذج بل الوصف المعمق الذي يدعو فيه إلى الإنصات للوجود باعتباره يحظى باهتمام خاص عند هيدغر على الأقل وملاحظة ما لا نستطيع ملاحظته عادة وهو ما يعزو فكرة الفهم والتفسير كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك فهيدغر على خلاف هوسرل الذي نظر إلى الفينومينولوجيا على أنها علم الظاهرة أوالعلم الذي يدرس ما يبدو من الأشياء، فهيدغر يرى أن ما يبدو من الأشياء لا يقف وراءها فهو لا يؤمن بثنائية العالم (الظاهري و الحقيقي) فهذه الثنائية في الأشياء التي يتفاعل فيها " الظاهر " و " الشيء في ذاته " قد رفضها هيدغر في تأسيسه للوجود وعلى هذا فوجودية *[69]هيدغر تعنى بالموجود عامة منظور إليه في كليانيته وبوصفه كلا .

*/ القول بوجوديته لا تعني ها هنا أننا ننظر إلى هيدغر على أنه وجودي لا بل على العكس من ذلك نتوجه باللفظ هنا للإشارة إلى نظرته في تأسيسه للوجود في إطار فينومينولوجي ، كيف ذلك و هو الذي يصر بعدم الرضى بنعته بالوجودي أصلا ،نجد في عديد المؤلفات الفلسفية انتماء هيدغر إلى الفلسفة الوجودية ، بل أنها تضعه بالتحديد ضمن الوجودية الملحدة التي يتزعمها في فرنسا سارتر ، في مقابل الوجودية المؤمنة التي سن ثوابتها كيركيجورد ، لسنا مع هذا التصنيف فهيدغر لا يفكر وجوديا بالمعنى الوجودي ، فهيدغر كان فيلسوف الوجود (الكون) بالمعنى الأنطولوجي و ليس الزمان الهيدغري زمانا وجوديا ، إنما هو زمان أنطولوجي يهم الوجود العام .

هكذا إذن أراد هيدغر أن يقيم نظرية حول الكينونة - الوجود الشامل - من خلال وصف الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يعي حقيقته و ضرورة السؤال حول معنى تفرده، ومن ثمة التحول للبحث عن معنى هذا " الدازاين " ووجوده في العالم وهدف هيدغر من هذا كله تخطي الفلسفات التي أغفلت مشكلة الوجود وتناسته والفلسفات التي أساءت فهم الكينونة والفلسفات التي أخلطت بين مفهوم الوجود وبين معرفتنا عنه مما وضع الوجود موضع التجريد العقلي، وعلى غرار ذلك قادنا هيدغر للعودة إلى الإغريق الذين تناولوا مشكلة الوجود من حيث هو وجود حقيقي كلي ليصبح بذلك هذا الموقف نقطة للبدء على اعتباره الموقف الصحيح حول الوجود في العالم .

وعلى هذا الاعتبار يبقى علينا أن نتعامل مع المنهج الفينومينولوجي، كواقع فلسفي له مصداقيته باعتباره منهج للرؤية الذهنية، رؤية ما لا يرى بعد ما ينطلق مما يرى، أو من ظاهر الأشياء ليتجه إلى باطنها، وهم المنهج من ذلك كيف ؟ وهو ما يطمح إليه هيدغر على خطى الفينومينولوجيا الوصفية ، وكيف يتم تحقيق القاعدة الأم " العودة إلى الأشياء في ذاتها " ؟ .

فقد اعتبر طريقه هذا سبيلا للولوج، سبيلا للغور والغوص بغية الكشف والتفسير والفهم من خلال الاستقصاء ووصف الظواهر في كلياتها وضمن أولياتها وبداياتها، دائما في خضم استبعاد الأحكام المسبقة تجاوزا لكل ما هو ميتافيزيقي، وإعادة بعث كل بداية من شأنها أن تحدث نقطة انطلاق لفهم جديد وخلق يبدو بعد الاستقصاء حقيقة، وذهاب أبعد من ذلك تجديدا للتراث الذي لطالما كان خلفية معرفية وسندا فلسفيا منهجيا للرؤية الهيدغيرية تصحيحا للماضي الغربي وتنقيبا عن الحقيقة الفلسفية بين الركام والحطام والأنقاض الإغريقية، إن المنهجية الفينومينولوجية هي مسيرة العقل إلى الأشياء ذاتها، فهما لصفات ظاهرة وتفسيرا للأشياء على أنها ظاهرة .

الفصل الثالث

سؤال الفينومينولوجيا كموضوع للتفكير

لقد ترك كتاب هيدغر" الوجود و الزمان " أثرا حاسما على الفينومينولوجيا ونقلها نقلة كبرى ووضعها في سياق جديد تماما، وأسهم فيها إسهاما متعدد الجوانب، بحيث يعد من بين المرجعيات لكل النظريات اللاحقة في الفينومينولوجيا، والتي لم تستطع معالجة موضوعاتها إلا بالرجوع إليه .

ولكن الحق أن هيدغر هو الأخر لم يستطع تأسيس نظريته عن الفينومينولوجيا إلا بالاستناد إلى غيره، ونقصد على وجه الخصوص أستاذه هوسرل فقد« وجد هيدغر في فينومينولوجيا إدموند هوسرل أدوات تصورية لم تكن متاحة ، ووجد فيها منهجا يمكن أن يسلط الضوء على كينونة الوجود الإنساني بطريقة يمكن للمرء بها أن يكشف النقاب عن الوجود ذاته لا عن مجرد أهوائه و تحيزاته وأيديولوجيته، وذلك أن الفينومينولوجيا قد فتحت عالما جديدا، وأتاحت فهم الظواهر فهما سابقا على التصورات الذهنية »[70].

ولا ينكر هيدغر يعترف بالفضل الجوهري لأبحاث هوسرل في تعميق وتوسيع تصوراته وخاصة المبكرة منها، إلا أنه وبعد تأليفه لكتاب " الوجود و الزمان " 1927 كيف هيدغر تصوراته المبكرة وفقا لأغراضه ووضعها في سياق جديد وما اختفاء مصطلح " فينومينولوجيا " في كتاباته التي تلت (الوجود و الزمان)- وهو إذا كان يلجأ إليه بصفة ثانوية في بعض مؤلفاته كمحاضرته حول " فينومينولوجيا الروح " (1930- 1931) و" رسالة حول الإنسانية "- .

فهذه بالنسبة لهيدغر لم تكن خيانة لهوسرل حين أراد تأسيس مشروعه الخاص بعيدا عنه على العكس من ذلك فقد كان يرى في موقفه تطويرا

---

[70]/ د.عادل مصطفى - مدخل إلى الهرمينوطيقا، مرجع سابق ص 148- 149

للفينومينولوجيا« فليس من الضروري لكي يكون الفيلسوف فينومينولوجيا أن يكون هوسرليا قلبا و قالبا ، بل إن هذا ضد مصلحة الفينومينولوجيا ، وضد طبيعتها كمنهج " مفتوح " قابل للتطوير » [71]، بل أن هيدغر كان يعتقد أنه أكثر وفاءا للفينومينولوجيا وفكرة الرجوع إلى الظواهر من أستاذه هوسرل الذي فسر الظواهر انطلاقا من الذات المتعالية وهو ما رفضه هيدغر واعتبره تراجعا عند أستاذه بل وتيهانا عن معالم الطريق المؤدي إلى الظواهر و لعل " بول ريكير " لم يكن مخطأ حين قال :« إن ما هدمته الهرمينيوطيقا الهيدغيرية ليس الظاهراتية ، و إنما واحدة من تأويلاتها، أي تأويلها المثالي من طرف هوسرل نفسه »[72] ، هذا إن دل فإنما يدل على أن الفينومينولوجيا نفسها لم يتجاوزها هيدغر لأن الهرمينيوطيقا الهيدغيرية في حد ذاتها لا يمكن أن تؤسس إلا ضمن افتراض فينومينولوجي وقد صرح هيدغر في (الوجود و الزمان) أن الفينومينولوجيا هي أساس هرمينيوطيقا الوجود الإنساني .

لقد قيل الكثير في انقلاب هيدغر على هوسرل ولعل أهم ما قيل في هذا الشأن أن تلك القطيعة ما هي إلا استجابة لرسالة هيدغر الفكرية والتي تتمحور حول السؤال التالي : بأي وجه من الأوجه نسمي الفيلسوف فينومينولوجيا ؟ وكيف يتم ذلك ؟ وكيف يكون الفيلسوف فينومينولوجيا ووفيا للفينومينولوجيا على اعتبار أن هيدغر لم يكن فينومينولوجيا في نظر هوسرل بل كان فيلسوفا أنثروبولوجيا، لأنه حاد عن منهج الرد الفينومينولوجي والمثالية الترنسندنتالية ؟ على عكس ما توجه إليه هوسرل في إعتبار هيدغر أنثروبولوجيا، كان هيدغر يرى أن هوسرل هو الذي لم

---

[71]/سعيد توفيق- الخبرة الجمالية ، مرجع سابق ص 79

2/ بول ريكور، من النص إلى الفعل ، ترجمة : محمد برادة و حسان بورقية ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، القاهرة 2001 – ص 31

يكن فينومينولوجيا بالمعنى الحقيقي، ليس المهم هنا أن نسترسل في سرد وتأويل أمر هذه القطيعة، إنما المهم هنا هو كيف أضحت الفينومينولوجيا انطلاقا من هذه القطيعة سؤالا للبحث وموضوعا لذاتها على اعتبار القاعدة الأولى " العودة إلى الأشياء ذاتها " ؟ أوالكيفية التي من خلالها يفكر الفيلسوف فينومينولوجيا داخل أو ضمن هذا الانتماء الفينومينولوجي ذاته ؟

المبحث الأول

التفكير في الفينومينولوجيا داخل الفينومينولوجيا

المبحث الأول : التفكير في الفينومينولوجيا داخل الفينومينولوجيا

لقد فهم هوسرل الفينومينولوجيا واستخدمها طيلة مساره الفكري على أنها أداة إبستيمولوجية فقط ولا علاقة لها بالأنطولوجيا ; أي أنه وضع كل ثقل الفينومينولوجيا في الوعي " الذات الترنسندنتالية " وعلاقته بالعالم ، ولكن توجه هيدغر كان غير ذلك عندما طرح من جديد قضية الوجود أين حمل

الفينومينولوجيا من الإبستيمولوجيا ومن علاقة الوعي بالعالم إلى الأنطولوجيا أو إلى الوجود الإنساني في علاقته بالعالم، وهو تحوير جديد يحمل فهما جديدا للفينومينولوجيا ويعطيها طابعا آخر غير الطابع الهوسرلي بعد أن نظر إلى أستاذه هوسرل على أنه كان غير قادر على ذلك، ومن هنا فتح هيدغر بابا آخر للسؤال تضمن كموضوع، الفينومينولوجيا في حد ذاتها، أين أخضعها لذاتها كمنهج، لتصبح بذلك الفينومينولوجيا سؤال هو الآخر مضاف للبحث الفلسفي الفينومينولوجي تتبعا لأغوار هذا المنهج من منطلق القاعدة الأساسية " العودة إلى الاشياء ذاتها "، أضافها هيدغر كسؤال آخر يجدر البحث فيه وعنه وعن أليات استخداماته قبل كل سؤال من شأنه يقوم .

هيدغر الفينومينولوجي الذي استقى تصوراته وأسس تفكيره عن أستاذه هوسرل خرج عن المتن الهوسرلي لا لغاية أخري إلا لغاية تطويره وتحويره بما يستدعي التوجه الجديد، تعديلا يوافق أسلوبه في التفكير بحثا عن الكيفية التي يضحى بها الفيلسوف فينومينولوجيا .

إن الفينومينولوجيا كما نعلم لفظة ترتبط بإدموند هوسرل ومنظومته وبما أن هيدغر قد خرج عن ذلك فإنه تصور الفينومينولوجيا تصورا جديدا من خلال التحديد الجديد الذي أضفاه على الفينومينولوجيا بعد أن أعاد تعريفها نفسها، فهو يعود إلى الوراء يعود إلى الأصل اليوناني للكلمة ويرى كما سبق وأن أشرنا أنها مكونة من مقطعين (ظاهرة وعلم) وعلى هذا الاعتبار هي علم الظواهر وهي من منظور خارجي تماثل مصطلحات علم اللاهوت (الثيولوجيا) أو علم الحياة (البيولوجيا) لكن لا ينبغي أن نفهم الفينومينولوجيا على هذا النحو، فهيدغر لم يفهم الفينومينولوجيا بالإشارة إلى الموضوع الخاص بها، لا بل بالعكس من ذلك فقد تطرق إلى المقطعين

سالفي الذكر بأسلوب فينومينولوجي حيث عاد إلى المصطلحين (فينومان) و(لوغوس) في بداياتهم وهو فحوى التفكير الفينومينولوجي، وهو ما يعكس الجانب التطبيقي في المشروع الفينومينولوجي الهيدغري والإسقاط الفينومينولوجي على الفينومينولوجيا في حد ذاتها .

فقد نظر إلى الفينومين أو الظاهرة على أنها التجلي أو الظهور انطلاقا من الاشتقاق الفعلي اليوناني وهو ما يؤدي المعنى الذي تصوره (هو ما هو في وضح النهار) وهو ما أشار إليه اليونان على أنه مكافئ لما هو كائن أو موجود، وهو ما تؤديه اللفظة الجذر(فا)(PHA)التي تشير إلى الذي يظهر ذاته بذاته .[73]

وعلى هذا الأساس يرى هيدغر أن الفينومينولوجيا تعني :« كشف الوجود أو أسلوب وجود الموجود ; أي أنها ذلك المنهج الذي يجعلنا نرى ما يكون محجوبا، ويعمل على كشفه واستخراجه من خفائه، أي جعله لا متحجبا »[74].

أما عن لفظة لوجيا فهي تعود إلى الكلمة اليونانية(لوغوس)، كما سبق الإشارة إلى ذلك فقد أوله هيدغر على خلاف التأويلات السابقة عنه باعتباره فكرا أو عقلا أو حكما، على أنه (الكلمة) أو(الكلام) والكلمة هي« ما تتكشف من خلالها الأشياء و تظهر »[75]، وهي إشارة تطبيقية أخرى للاستعمالات والاستخدامات الفينومينولوجية الهيدغيرية دائما في إطار البحث في الفينومينولوجيا على طريقة العودة إلى الأشياء ذاتها، أين جعل من اللوغوس وظيفة كشفية، وهذا التوجه دائما يصب في قصدية على

---

[73] / د. عبد السلام بنعبد العالي- الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ، مرجع سابق .ص74

[74] / سعيد توفيق- الخبرة الجمالية ، مرجع سابق ص82

[75] / د. عبد السلام بنعبد العالي- الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ،مرجع سابق، ص 75

المقاس الهيدغري في فعل القراءة الفينومينولوجية للفينومينولوجيا وهو درب أخر وسبيل من بين عديد السبل التي تتوجه نحو فهم الفينومينولوجيا من خلال إخضاعها باعتبارها هي الأخرى موضوعا لذاتها، كونها المنهج الذي يتم من خلاله صبر أغوار الموضوعات التي تصب كلها في قالب أوحد يعكس التماثل التنظيري الهيدغري مع الممارسة الفلسفية على الطريقة الفينومينولوجية .

فالفينومينولوجيا بهذا المنطق أو بالمنطق الهيدغري ضرب من العبور تنقل النظر مما هو عليه إلى ما يجب أن يكون عليه، وتخصيصا بالنظر إلى الفينومينولوجيا كموضوع يسلط منهج الفينومينولوجيا الضوء عليها، لينقلها من مصاف المصطلحات المشار إليها على اعتبار الموضوعات الخاصة بها إلى مصاف حقول البحث المنظور إليه من الداخل من خلال الولوج والغوص داخل الحقائق الوظيفية المؤدات والعبور إلى هناك حيث يقبع المقصود بين ثنايا هذه الكلمات التي تؤدي هذه التعددات القرائية التي يأخذها كل على مقاسه .

من هنا وعلى اعتبار الإبحار داخل الفينومينولوجيا باعتبارها أداة من جهة وموضوعا من جهة أخرى، رسم هيدغر الملامح الكيفية التي تؤدي هذه المهمة والتي يتسم بها الفيلسوف الفينومينولوجي ككينونة تفهم ذاتها انطلاقا من ذاتها على أنها ضمن دائرة الوجود في – العالم .

هذه الالتفاتة الهيدغيرية الفينومينولوجية للفينومينولوجيا في حد ذاتها هي عينة تعبر عن أصالة الفينومينولوجية الهيدغيرية، وتعكس بحق فينومينولوجيا هيدغر وتوجهه إلى تطبيق ما نظر إليه على اعتبار القطيعة التي أحدثها مع أستاذه هوسرل، حيث ثار ضد ما استقاه من أستاذه انطلاقا

مما تعلمه عنه فقد أخذ الفينومينولوجيا عن هوسرل لكنه عاد لينقحها ويضعها هي الأخرى كغيرها من الموضوعات قيد الدراسة والتمحيص ليستعيد ما تغافلت عنه فينومينولوجيا هوسرل، ويزرع الأنطولوجيا في الفينومينولوجيا، على اعتبار أن الفينومينولوجيا لم تتجاوز ما كانت تصبو إلى تجاوزه وتناست سؤال الوجود كغيرها من الميتافيزيقيات السابقة عنها وظلت شديدة الارتباط بالذاتية والديكارتية على وجه الخصوص، ففينومينولوجيا هوسرل أصبحت بمثابة فلسفة الذات بمعنى جديد فقد بدى لهوسرل أن العلاقة بين أفعال الفكر وموضوعاته علاقة قصدية تستدعي كمصدر ذاتا قادرة أن تنعكس على نفسها وتفكر فيها كأنا وبالتالي تصبح " أنا أفكر " أساسا لكل العمليات، وكل ما كان يشغل هوسرل هو مسألة التأسيس وسؤاله الأساسي هو كيفية الانتقال من الصوري إلى الترنسندنتالي ، وهو على ما يبدو أن الفينومينولوجيا رغم إصرارها على القصدية، ورغم أنها قامت ضد كل نزعة سيكولوجية، لم تخرج عن فلسفات الكوجيتو .

الظاهر أن مغادرة أرض الكوجيتو لا تستدعي الخروج عن الذات والوعي لتهتم بالجسم والغير والتاريخ وتضع الذات أساسا، لا بل الكيفية التي يتحدد بها الموجود، على خلاف ذلك حاول هيدغر أن يجيب على هذه الأسئلة ليشق« طريقه نحو فكر يعيد النظر في الفكر » [76].

انطلق هيدغر من سؤال الفكر ذاته، وبدأ بالتساؤل عما نعنيه عندما نتحدث عن قوانين الفكر ومبادئه ليكشف أن« الفكر يخضع في فعالياته لقوانين تضبطه، الفكر موضوع هذه القوانين باعتباره صورة أساسية لهذا

[76] /. د. عبد السلام بنعبد العالي- أسس الفكر الفلسفي المعاصر - مجاوزة الميتافيزيقا ،مرجع سابق، ص115

الفكر » [77]، وعلى هذا الاعتبار يبرر هيدغر إعادة النظر في المنهج الذي سطره لدراسة وفحص كل موجود لينقلب على ذاته و كأنه استبطان فينومينولوجي، عادت الفينومينولوجيا لتعبر عن ما بداخلها، ليعلق ذاتها لتعد من جديد إلى الوراء إلى البدايات الإغريقية، وهو ما عودنا عليه هيدغر في كل مباحثاته لتجاوز كل الإغفالات وتقصي الحقائق على اعتبار أن اللغة الإغريقية هي منبت التفكير الأصيل، ولا يمكن أن نفهم حقيقة ما إلا بالرجوع إليها، سعيا لبعث التراث الإغريقي، والذهاب بعيدا أكثر من ذلك بغية التملك، هذا النوع من التفكير عند هيدغر هو بمثابة الارتماء في أحضان تاريخ الفلسفة بوصفها أفلاطونية، من أجل تقريبه من لغتنا، ولا يجب أن نفهم فعل التملك مجرد عملية إحياء فقط بل هو التحرك في فضاءات مضيئة، بغية تملك " نسيان الوجود " كما أنه لا يوحي بالهدم لا بل عودة ورجوعا من أجل خلخلة الكلمات، والتي تكمن في طريقة الاشتقاق وهو ما يعبر عن " خطوة إلى الوراء " نحو طريق الفكر وهو إشارة إلى الكيفية التي اعتمدها هيدغر وأسلوب التعامل مع المنهج الفينومينولوجي في حد ذاته، تحت شعار« ليس للفينومينولوجيا أن تستعاد إلا بنحو فينومينولوجي» [78]،وهي دعوة صريحة نحو فحص الأصول الفينومينولوجية واستشكال الفينومينولوجيا من حيث هي ضرب معالجة لا يمكن أن ننسبها إلى جنس " وجهة نظر " ولا إلى اتجاه فلسفي معين ولا تتناول بحسب الألفاظ المركبة الدالة على علم ما، على أنها علم بالظاهرة، وقد كان ذلك بديا جهارا في الفقرة السابعة من " الوجود والزمان "، حيث يتحدث هيدغر عن مفهوم ابتدائي بدئي يوحي بالسبق والافتتاح

---

[77]/ مارتن هيدغر،ماذا يعني التفكير؟ ،ترجمة نادية بونفقة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر،2008/09 ،ص35

[78] / د.فتحي نقزو . هوسرل و معاصروه – من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم –المركز الثقافي العربي – ط 1 –الدار البيضاء – المغرب 2006 –ص 169

والاستكشاف كونه مفهوما منهجيا لا المقصود منه ما يختص به من الأمور والموضوعات وإنما كطريقة وكمنهج همه " الكيف " ;أي كيف يتحقق هذا المفهوم الابتدائي وهو سير نحو الاسترداد الفلسفي للقول الفينومينولوجي .

إن كل هذا يوحى لنا أن مسار التفكير الهيدغري ينطلق من مساءلة المنهج أي شرح وتفسير وتأويل لاسم " الفينومينولوجيا " ومواصلة هذه المساءلة« يشير على أن لهذا الاسم معنى صوريا، وإن كان مركبا من حدين فهو يعنى الأمر نفسه » [79] ، إنه قول في الظاهرات وتبيانها، إن هذا الذي توصل إليه هيدغر يقتضي تحقيقا فينومينولوجيا أي تعيينا للظاهرات التي هي معطى للبيان .

إن الظاهرة باعتبارها معطى للبيان ماهي إلا الوجود بعينه، وعلى هذا الأساس طابق هيدغر بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا وجعل هذه المطابقة عنوانا لمشروعه« إن الفينومينولوجيا هي ضرب الإقبال على الأنطولوجيا، والتعيين الشرعي لغرضها، فالأنطولوجيا ليست ممكنة إلا بما هي فينومينولوجيا، إن ما يرقبه المفهوم الفينومينولوجي للظاهرة من حيث هو ما يظهر بنفسه هو وجود الموجود، معناه، تحويلاته ومشتقاته، فإنه هاهنا لا يتعلق الأمر بأي ظهور اتفق، وبالأقل بشيء كالتظاهر إن وجود الموجود لا يمكن بإطلاق أن يكون شيئا يتخفى خلفه شيء أخر ليس له أن يظهر »[80].

فتعيين الظاهرات الفينومينولوجية قد يتخذ صورتين، أولها أن ليس هناك شيء خلفها، ومن وجه أخر قد تتوارى وتتحجب هذا رغم أن التواري والانحجاب يبدو شيئا مناقضا للظاهرة كمفهوم، وعلى هذا الاعتبار فإن

---

[79] / المرجع نفسه ص 176

[80] / د.فتحي نقزو . هوسرل و معاصروه ،المرجع السابق ص 177

الوجود كونه إمكانية فينومينولوجية يجمع بين طرفين، الظهور من جهة كشكل أو كصورة تعبيرية واضحة لمفهوم الظاهرة، ومن جهة ثانية الانحجاب والتواري أي ما يحمل شرط الظهور والانكشاف والإبانة، وما يحمل شرط الانسحاب والتواري والانحجاب، وهو ما استدعى هيدغر هروبا وتجنبا للوقوع في المثاليات والتأويلات البديهية المألوفة، وهي حاجة منهجية في نفس هيدغر عطف على إثرها الوجود على الظاهرة، وهو شرح للظاهرات بنحو أصلي حدسي بعيدا عن كل تأمل« إن هذه الحدسية الحضورية التي تقوم في أصل كل منهج فينومينولوجي، إنما هي عين الأصالة التي في مفهوم الامكان ; أي شرط تحرير الوجود من المأثورات والتأويلات الجارية من أجل رفع مقوماته الظهورية إلى رتبة علمية وصفية »[81].

فالفينومينولوجيا بهذا المنطق هي الفقه بوجود الموجود – الأنطولوجيا فهي منظومة الأشكال الخاصة بتناوله والوقوف على حقيقة ظهوره، وهي الخلفية الفلسفية للأنطولوجيا الأساسية ولمحورها الدازاين ليس فحسب بل هي التمهيد الفعلي لها باعتبارها تحليلية كلية للوجود .

ومن جهة أخرى ودائما في خضم استشكال الفينومينولوجيا وفي المقطع الثاني من الفقرة السابعة من " الوجود والزمان "، والذي خصصه هيدغر لمفهوم اللوغوس حيث رجع في تحليله للدلالة الأساسية إلى الإغريق والتي توارت بفعل الترجمات والاستعمالات المتعددة ; أي دلالة " القول " الذي هو أقرب في الفهم الإغريقي إلى البيان أوالإظهار والإبانة، وتيسير الأمر للرؤية، هذا الرجوع هدفه تبيان المعنى المقصود باللوغوس، باعتباره تتكون منه لفظة(الفينومينولوجيا)، ليس بمعنى العلم المتداول في سائر

---

[81] / المرجع ، نفسه، ص 179

الفنون باعتباره العقل والحكم، لا بل هو المعنى التأويلي المقصود في الاستعمالات الإغريقية الأولى، بما هو كشف عن الموجودات .

فخروج هيدغر عن هذه المنظومة المعرفية كان هدفه بناء سياق لمعقولية سابقة على الفكر النظري، أو بعث فقه وجود الحياة الحدثية، وهو ما يستند إليه تصور هيدغر لمعنى الفينومينولوجيا التي ينبغي أن تفهم ضمن أفق إغريقي، الذي يستلزم تحرير الظاهرة من الفهم الميتافيزيقي الحديث وحملها إلى نورانية التجلي الأولي للوجود وإلى الدلالة على الظهور .

وفي معنى الظاهرة واللوغوس المقومين للفينومينولوجيا، بمدلولهما الإغريقي أهمية في إعادة تأسيس القول الفينومينولوجي، من حيث هو تجربة ظهورية مباشرة، يكون فيها القول مبينا عما يظهر وينبسط للرؤية التي هي الاتصال قبل النظري بالوجود ; أي تجربه تجريبا حدثيا .

هذه التأويلية التي اهتم بها " الوجود و الزمان "، هي محور المطابقة السالفة الذكر بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا، التي مرتعها الرؤية كإطار للإحاطة بالوجود، هذا التصور الجديد للفينومينولوجيا الذي نقلها كإشكالية إلى ما هو أسبق من المعنى الذي صورها هوسرل، وهو ما يعكس التحول الجذري المعاكس لحركة الفكر الهوسرلي، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي من خلال استطراد التحول الذي طرأ على الفينومينولوجيا دائما ضمن المشروع الفلسفي الفينومينولوجي الهيدغري، فكيف صور هيدغر هذا التحول ؟ وكيف أضحت الفينومينولوجيا سؤالا بعدما كانت بداهتا ؟

المبحث الثانى

الفينومينولوجيا من البداهة إلى السؤال

المبحث الثاني : الفينومينولوجيا من البداهة إلى السؤال

مما لا جدال فيه ولا ريب أن العلوم الإنسانية قطعت شوطا جديدا من التحول، ويعود الفضل فيه إلى الفينومينولوجيا الهوسرلية، التي كان لها السبق في تحريرها من قيود الصرامة المنهجية، التي فرضتها عليها نظرية المعرفة، حيث كانت الفينومينولوجيا الهوسرلية أفقا مفتوحا اعطى الفرصة للذات لاكتشاف الظواهر والأشياء في وجودها الأصيل، فكانت بحق منهجا جديدا في البحث عن الحقيقة في مجال العلوم الإنسانية، وما ينطبق على العلوم الإنسانية ينطبق على الفلسفة، فقد كانت الديكارتية إحدى الركائز الأساسية في تجديد الفلسفة وإحيائها، فرغم ما يأخذ عليها إلا أنها تعد أرضية خصبة لبناء أسس فينومينولوجيا هوسرل، فقد كانت العلوم تعتقد أن العالم يعد بداهة أولية يقينية لا تحتاج إلى برهان، إلا أن هوسرل واصل تعميق السعي الديكارتي على أن العالم لن يكون بداهة بديهية بذاتها،« من غير الممكن أن تصير هذه البداهة، البداهة الأولى والمطلقة » [82]، فالبداهة العلمية تحتاج إذن إلى نقد قبلي، إذ يجب الأخذ ببداهة أعمق كلية من بداهة

[82]/ Husserl- E .Méditations Cartésiennes .introduction a phénoménologie .trad .lévinas .vrin .paris 1966.p120

العالم، فلا يمكن على حد تعبير هوسرل التسليم بصحة حكم ما، إذا لم أكن قد استقيته من البداهة ومن التجارب التي تكون فيها الأشياء حاضرة بذاتها و على هذا يجب عليا أن أتبين حقيقة أن هذه الأشياء المعطاة هي ذاتها ،وعلى ذلك جعل هوسرل " الأنا أفكر " سندا لتأسيس الفينومينولوجيا، ومثلت لديه الحقل اليقيني والضروري الذي تتأسس على إثره كل فلسفة، ف" الأنا أفكر " بداهة بديهية بذاتها بوصفها ذاتية متعالية، وعلى ذلك يجب تجاوز كل ما هو حسي تجريبي، وهذا الذي مثل لدى هوسرل تعليقا لا يعني إغفال العالم الواقعي، لا بل تفعيله وجعله ظاهرة ماهوية قابلة لتطوير .

وعلى ضوء هذا التعليق الفينومينولوجي، اكتشف هوسرل " الأنا الترنسندنتالي "، هذا الأنا الذي أضحى بداهة ضرورية لكل علم يقيني كلي، إلا أن هوسرل لم يذهب إلى ما ذهب إليه ديكارت، ولم يقع ضحية الخطأ الديكارتي الذي طابق بين الأنا السيكولوجي والأنا الترنسندنتالي، فقد فصل هوسرل بينهما، وجعل الأنا الترنسندنتالي البداهة البديهية الوحيد، ووسع من مضمونه لما أضاف له مفهوم " القصدية "*[83]،أراد هوسرل أن يتجه بالفلسفة نحو أفق تغدو فيه علما كليا مبني على أساس ما هوي جديد يختلف كل الاختلاف عن الشكل الديكارتي التقليدي، اتخذ من الأنا الترنسندنتالي أساسا لهذا العلم .

إن عودة هوسرل إلى ديكارت لم تكن من باب القبول والاستحسان ولا من باب العودة من أجل الرفض، وإنما مثلت العودة لتطويرها وتبيين عدم

---

* [83]/ القصدية هو مفهوم تلقاه هوسرل من برنتانو و بشكل غير مباشر من فلسفة العصر الوسيط المسيحي ، حيث يرى هوسرل أن من بين الخبرات هناك خبرات معينة تتميز بأنها خبرة بموضوع ، يسميها (خبرات قصدية) من حيث أنها وعي فهي خبرات ذات علاقة قصدية مع ذلك الشيء ، ويعد الوعي نقطة علاقة خالصة للقصدية فكل وعي هو وعي بشيء وهو في علاقة قصدية بذلك الشيء ، إنها العلاقة القصدية بين الوعي الخالص و الموضوع القصدي
راجع :الفلسفة المعاصرة في أوربا . تأليف .إ.م. بوشنسكي – تر. عزت قرني –المجلس الوطني لثقافة و الفنون و الأداب – الكويت ص 188

كفايتها، هذا على أساس أن هوسرل ذاته يقر أنه يتفق مع ديكارت في كثير من المواضع، وأكثر شيئا اتفاقا بينهما هو فكرة أن« الذات يقينية لا تقبل الشك، وهي منطلق التأسيس وبناء المعارف الصحيحة ».[84]

راح هوسرل يبحث بين ثنايا الميتافيزيقا عن أصل ثابت يكون ضامنا لقيام علم كلي يحتاج إلى نقطة انطلاق يقينية« نقطة بداية ضرورية و غير قابلة للشك » [85].

وعليه فقد كان هوسرل يهدف في البحث عن الأصل التأسيسي لعلم« البدايات و لفلسفة أولى تنبع من جوفها كل النظم »[86]، وبالتالي أدرك ضرورة منهج جديد يقوم على أساس ترنسندنتالي، فلم يجد غير العودة إلى ديكارت واستخدام بداهة " الأنا أفكر "، ومع ذلك لم يدحض الواقع نهائيا وإنما أراد أن يوسع في مجال التجربة الترنسندنتالية، وأقر أن« مهمة الفلسفة عامة والفينومينولوجيا خاصة، هي الارتقاء إلى عالم الموجودات ذاتها لإدراك الحقائق الكلية الترنسندنتالية » [87] ، وجعل الوعي مقياسا لفهم الفينومينولوجيا وأساسا تبدأ منه كل معرفة يقينية .

إذن هوسرل أصبح بصدد التأسيس لعلم كلي صارم ودقيق، يتوجه نحو التخلص من كل حكم سابق وكل رأي وكل اعتقاد، وهذا هو المعنى المنهجي لفكرة التعليق الفينومينولوجي الذي يحيل نظر الوعي لذاته، فكل تأسيس في رأيه غير مكتمل إذا لم يتخذ التعليق الفينومينولوجي في استعادة الميتافيزيقا واستئناف التفكير فيها من جديد، وظن أنه ارتقى بالفلسفة عامة

---

[84]/ الفن و الحقيقة – مرجع سابق ص 17

[85]/ Husserl- E- Méditations Cartésiennes - Ibid p290

[86]/ إ- هوسرل –فكرة الفينومينولوجيا – تر.فتحي نقزو . المنظمة العربية للترجمة .بيروت .2007 ص28

[87]/ الفن و الحقيقة .مرجع سابق ص 36

وبالفينومينولوجيا كمنهج إلى مصاف العلم البديهي، خاصة عندما استخدم التعليق الفينومينولوجي كتقنية للنقد والاستئناف .

إذن هوسرل لم يقطع الصلة بديكارت وبفلسفات الذات السابقة عنه، فقد« بقي هوسرل تحت ظل الشجرة الديكارتية التي أعاد أغصانها إلى ملامسة الراهن المعيشي دون أن يقطعها عن أصلها الميتافيزيقي »[88] هنا الاستئناف الهوسرلي ما هو إلا استدعاء للمشروع الديكارتي و للميتافيزيقا ، دونما تجاوزها فكان مشروعه مشروع الفلسفة القائمة على البديهيات .

في مقابل ذلك سعى هيدغر إلى توجيه الفينومينولوجيا وجهة أخرى غير تلك التي دعى إليها هوسرل، ولكن دائما تحت لواء الفينومينولوجيا .

فما هو الجديد الذي أضافه هيدغر للفينومينولوجيا ؟ ما هو موقفه تجاه البحث عن أصل ثابت بديهي لمنطلق الفينومينولوجيا ؟

لقد سبق وأن أشرنا أن هيدغر توجه بالفينومينولوجيا من البداهة إلى السؤال ، سؤال الوجود، وجهة أنطولوجية فمن فلسفة تقوم على وصف الموجود إلى منهج تأويلي يضع الماهيات قاب قوسين، واستدعى إمكانيات الوجود، حيث ينكر هيدغر قدرة الفينومينولوجيا الترنسندنتالية على تحقيق مقاصد تجاوز الميتافيزيقا، كما أنه لا يمكن تفسير الظواهر وإنما يجب فهمها وفق وجهة تأويلية، وعليه فقد سبق هيدغر الفهم على التفسير، فقد راهن هيدغر على تجاوز الميتافيزيقا، حيث نادى بأهمية مجاوزة الأنا الترنسندنتالي المطلق كبديهية أولية، ورفض أن يكون الوعي هو العالم المعيش وإنما الموجود الإنساني الملقى في العالم، لا يمثل هذا التحول إلا تحولا بالسؤال الفلسفي من المعرفة إلى الوجود، من البحث عن بديهية أو أصل ثابت غير

---

[88]/ د – علي الحبيب الفريوي .الفن و الحقيقة.مرجع سابق ص 51

قابل للشك منطلق للعملية الفلسفية، إلى سؤال الوجود الذي لطاما مسه النسيان والإغفال تحت طائلة الميتافيزيقا التقليدية، وامتدادا إلى ديكارت وهوسرل الذي لم يقطع الصلة هو الأخر، ونادى بميتافيزيقا من منظور جديد، أساسها الوعي والأنا الترنسندنتالي، فهوسرل في رأي هيدغر« لم يكن على بينة من أمر الوجود – في – العالم، لأنه لم ينفذ إلى خارج الإشكالية التقليدية للميتافيزيقا »[89]، ويضيف« ليس العالم ما تتمثله (الأنا أفكر الخالص)، وإنما هو موجود لا ينفصل عن سؤال (معنى الوجود) »[90].

فقد رفض هيدغر التناولات الوضعية العلمية لتحديد معنى الوجود، وحتى استخدام الماهيات، لذلك فالوجود لن يكون موضوعا لعلم صارم ودقيق ما دام هذا العلم لم يدرك بعد الاختلاف الأنطولوجي بين الموجد والوجود ولم يقر بعد بالأنطولوجيا علما للوجود .

لقد رسم هيدغر بذلك خط السير والدرب المناسب لاستذكار الوجود، بعدما أشار إلى الميتافيزيقا على أنها تناست سؤال الوجود وراهن على مجاوزتها.

ولأجل هذا يرى هيدغر أنه« ينبغي مجاوزة هذا النمط من التفكير الذي يقوم على فكر نسيان الوجود، والذي آل بالعصر إلى التحرك داخل دائرة العدمية »[91].

لقد سلط هيدغر الضوء على كينونة الوجود، باعتباره ظاهرة موجودة يحتاج إلى الكشف عن حضوره، بدل أن يبقى أسير ذاتية متعالية لها سلطة المركزية والدور الفاعل في اكتشاف الأشياء، فقد رأى في العالم« الوسط

---

[89]/ د – علي الحبيب الفريوي- الفن و الحقيقة المرجع نفسه ص 49

[90]/ المرجع نفسه ص 49

[91]/M. Heidegger- questions 1.ibid p 246

الحيوي للوجود الإنساني التاريخي في – العالم ...و أن الوجود السجين المحجوب والمنسي، كان هيدغر يأمل في إطلاق سراحه »[92] .

كل ذلك كان لحاجة في نفس هيدغر، الحاجة الملحة في تقويض العقل الغربي المتمركز حول ذاته، جعله ينقل مركز الاهتمام من الذات المتعالية أو الوعي الإنساني في علاقته بالعالم، فهذا التصور الهيدغري هو تحول من أبستمولوجيا التأويل إلى أنطولوجيا الفهم، وقد اعطى هيدغر للمنهج الفينومينولوجي مفهوم الهرمينيوطيقا الأنطولوجية .

هذا الفهم الهيدغري بما هو فهم للوجود، يتجاوز الصيغة الهوسرلية ; أي قصدية الوعي إلى قصدية الوجود الإنساني، حيث يفتح المجال للظواهر بأن تتجلى بذاتها بعيدا عن الأنا المتعالية، فالفهم الهرمينيوطيقي عند هيدغر هو الذي يكشف الوجود من حيث هو ظاهرة، لأن حقيقة الوجود سابقة على الوعي والمعرفة .

فالفينومينولوجيا كمنهج لم تعد مجرد أداة إجرائية كما فهمها هوسرل، إن الفينومينولوجيا الهرمينيوطيقية باعتبارها اكتشافا جديدا احدثت ضجة وردة منهجية داخل الفينومينولوجيا، لم يعد الموضوع مجرد تصور أو حدس للماهيات، فوصف موضوع الحدس أصبح تأويلا للمعنى المتحجب في كل علاقة انكشاف وبروز أنطولوجي، فالذات لم تعد هي التي تجلب الأشياء إلى العالم باعتبارها المعطى أوتخرجها من التحجب إلى الانكشاف، بل العالم هو الذي يخلق ذلك السياق .

ومع هذا أصبح المنهج الفينومينولوجي في إطار الأنطولوجيا الأساسية تأويلا للوجود، على خلاف ما ذهب إليه هوسرل في أن الذات المتعالية لها

---

[92] / د. مصطفى عادل- مدخل إلى الهرمينيوطيقا .مرجع سابق ص 149

أفضلية وأسبقية كشف الأشياء وإظهارها، فالفينومينولوجيا مع هيدغر تترك الأشياء تتجلى وتظهر وتكشف عن ذاتها، على أنها هي وليست غيرها وما يبقى للذات من ذلك إلا المرافقة والإنصات وترك الشيء يفصح عن حاله .

لقد سلب هيدغر الذات أصالة الإبداع ووهم التعالي والأسبقية على الوجود والعالم الذي كان لها في التفكير الفلسفي مع فلاسفة العقل، وأنصار الرؤية الإمبريقية، وأصحاب التفسير الموضوعي، الذين كانوا يعتقدون بمركزية الذات وهمشوا الوجود على اعتبار أن الذات تسيطر على العالم، ونسوا أنهم حبسوها في سجن العقل، لقد خلع هيدغر هذا التعالي، وكشف أوهام الميتافيزيقا، وجعل الذات الفردية عنصرا فاعلا في تأسيس العالم، فهو لم ينتزع منها صفة المشاركة في تشكيل الوجود وكشف حقيقته، والذي« حان له أن يتكلم بعد طول صمت » [93].

لقد اعطى هيدغر للفينومينولوجيا مشروعية المساءلة الأنطولوجية، وأصبح سؤالها سؤال كل الأسئلة، الذي لم تتمكن الميتافيزيقا من طرحه، إنه السؤال الأساسي، سؤال الوجود، وهو ما يوحي إلى حاجة الأنطولوجيا الأساسية للفينومينولوجيا لطرح أسئلتها الأساسية كأسلوب يحمل الإمكانيات الخاصة بمسألة الوجود، ولكن ليس بتقنيات الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، وإنما فينومينولوجيا تأويلية تهتم بمسألة الوجود، حتى أن " الوجود و الزمان " لم يكن ممارسة أصيلة لفينومينولوجية ترنسندنتالية خالصة، لا بل ينظر إلى الفينومينولوجيا على أنها أسلوب يحول المحتجب إلى مرئي قابل للوصف والتأويل، أسلوب يناسب مسألة الوجود طعن من خلاله هيدغر في الأساس

---

[93]/ عبد الغاني بارة –الهرمينوطيقا و الفلسفة – نحو مشروع عقلي تأويلي . منشورات الإختلاف الطبعة الأولى 2008. ص234.

الميتافيزيقي للوعي، على أساس أن الاستئناف الهوسرلي لم يكن قادرا على طرح سؤال الوجود، على اعتبار أنها أسلوب لمعارضة فلسفة الوعي .

إنها تجربة تفترض النظر في مختلف المفاهيم من خارج الميتافيزيقا، وتجاوز فكرة رد الفكر إلى الوعي، وإلى مجموع الملكات أوالقدرات السيكولوجية – المنطقية، وإعادة النظر في هذه المفاهيم يفترض إعادة النظر في الحقيقة.

ولفهم مشروع المجاوزة عند هيدغر، لا بد من التفكير في السؤال الذي طرحه هو نفسه حول مفهوم الفكر، إذ يرى هيدغر على إثر ذلك أن« الفكر انصات إلى نداء الوجود » [94]، وهي إشارة أخرى لتحول هيدغر نحو سؤال الوجود، إن فكرة المجاوزة هي مجازفة هيدغرية ومراهنة على تخطى بناء فكر على أساس بديهي، فقد نقل إذن هيدغر الفينومينولوجيا من بحث في أصل ثابت وعن بداهة البديهيات، ومن اعتبار الأنا الترنسندنتالي الهوسرلي، إلى استشكال الفينومينولوجيا وتوجيهها وجهة أنطولوجية، نعم لقد توجه بها نحو سؤال الوجود، فمن منهج وصفي للماهيات إلى منهج يستحضر الوجود، ويفضح إغفالات الفكر الغربي والميتافيزيقا لسؤال الوجود، انطلق إذن« من فينومينولوجية الموجد إلى فينومينولوجية تأويل ظواهر الفن والشعر وتحليل اللغة والنصوص » [95].

[94]/.m. Heidegger-questions 3. ibid .p46

[95]/ د – علي الحبيب الفريوي -الفن و الحقيقة مرجع سابق ص 68

المبحث الثالث

فينومينولوجيا هيدغر في مواجهة سؤال المنـهج

المبحث الثالث : فينومينولوجيا هيدغر في مواجهة سؤال المنـهج

إن مجرد الحديث عن الفينومينولوجيا يوحى لنا وبطريقة ألية الحديث عن طريقة أوأسلوب أو سبيل للبحث عن ... ؟ وهو قلب الفينومينولوجيا وفؤادها

الذي خلقت لأجله، والحديث عن الطريقة أو الأسلوب هو تجسيد لفكرة المنهج، وهو السؤال الذي أوكلت له مهمة إحتضان خطابات الفينومينولوجيا .

ومن هذا المنطلق لا يمكننا الحديث عن الفينومينولوجيا، سواء مع هيدغر أو مع غيره ممن سبقوه واعني بالحديث هوسرل، أو ممن جاءوا فيما بعد، إلا ضمن الحديث عن سؤال أعم هو سؤال المنهج، باعتباره الإطار والمضمار الذي من خلاله يمكن بعث مختلف الإمكانات القصدية لمختلف الخطابات الفينومينولوجية .

و ضمن سياق الحديث عن فينومينولوجيا هيدغر، لا يسعنا إلا أن نحيل جل خطاباته انطلاقا من " الوجود و الزمان "، باعتباره نقطة تحول ومنعطف نحو إعادة جدولة إن صح التعبير كل ما توصلت إليه الفينومينولوجيا قبل ذلك، في خضم أو ضمن الإسقاطات المنهجية الهيدغيرية، إذ يطرح سؤال المنهج بصورة أكثر وضوحا وشمولية داخل الفينومينولوجية الهيدغيرية أكثر من غيرها، لا لمجرد الهدم الغير مضني بل من أجل البناء لسرح الفينومينولوجيا الحالمة، لذلك طرح هذا السؤال بصورة عنيفة ليس فقط في فينومينولوجيا هيدغر، لا بل حتى في باقي الفينومينولوجيات على اعتبار أن الفينومينولوجيا هي في حد ذاتها منهجا وموقف للفكر، إلا أن هيدغر نحى على خلاف استاذه هوسرل منحا آخر تمثل في جعل سؤال المنهج تأسيسا لرؤية أنطولوجية ; أي أنه ربط سؤال المنهج بسؤال لا طالما تناسته كما عبر عن ذلك هيدغر كل الفلسفات السابقة، بما في ذلك فلسفة هوسرل آلا وهو سؤال الوجود .

فما حقيقة المنهج الذي سعت الفينومينولوجيا الهيدغيرية إلى تحقيقه ؟

لقد تعين وتحدد المنهج إذا سؤالا قائما بذاته داخل الفينومينولوجيا الأنطوهرمينيوطيقية الهيدغيرية، كمركزية يدور حولها كل تفكير عموما إذ أصبح المنهج هو الفلسفة في حد ذاتها، غير أن هيدغر لم يستقر طيلة مسيرته الفكرية على رأي واحد، بل ظل يتراوح معاودا مشكلاته دون الأخذ برأي نهائي، بين تجربته لإنهاء الميتافيزيقا بشتى الطرق، والبحث في حقيقة الوجود بأساليب عدة، مستعملا في ذلك لغة ليست كغيرها بعيدا عن أصلها وجذورها، اتجه بالفينومينولوجيا وجهة تأويلية، بعد أن وقف عند امكانية التحرر من الوعي الذاتي ومن الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، كما أدرك ضرورة التأويل داخل مسألة الوجود لإعادة التوازن الأنطولوجي بين الذات والموضوع .

من هذا المنطلق فقد نظر هيدغر إلى الفينومينولوجيا على أنها مصطلح منهجي (un concepte de methode) [96] يتوجه وجهة منهجية همه البحث داخل خطابات المنهج، انطلاقا من القاعدة الأم العودة إلى الأشياء ذاتها، إذن هي« بحث في خطاب المنهج »[97] .

فالفينومينولوجيا بهذا المنطق الهيدغري هي عنوان لمنهج الأنطولوجي بالمعنى العلمي للفلسفة، وعليه تفهم الفينومينولوجيا بالتحديد وعلى وجه صحيح على أنها« مصطلح منهجي » [98] .

لقد خرج هيدغر عن المتن الميتافيزيقي و ضيق الخناق على امكانية التفكير في الوجود باتباع أسلوب واحد في التأويل، إذ ربط تعيين الوجود بإمكانية

---

[96] /tania pasque- étude sur la phénoménologie de heidegger .ibid . p31

[97] / Ibid .p 31

[98] / MARTIN HEIDEGGER .les problémes fondamentaux de la phénoménologie .text établir par friedich wlhelm von hermmann .trad de l'allemand par jean françois courtine .nrf .éditions gallimard .paris .1985 . p39

التحرر من ميتافيزيقا اللغة، بعد أن لم يعد السؤال عن حقيقة الوجود في حاجة إلى دليل هاد،« فقد يحتجب الوجود في الكلام المتداول أو المؤرخ في المتون تبعا للتحول الجوهري لمعنى الكلام بعد أن تناست الميتافيزيقا وتغافلت عن تحديد الموقع الأنطولوجي للوجود، من هنا عاد هيدغر إلى اللغة مقاما ومسكنا للوجود وإلى لغة الشعر تحديدا، لقد راهن على فكرة انكشاف حقيقة الوجود في الفني واللغوي والشعري الفكري مطلبا ضروريا لتوضيح فرضيته الطوبولوجية المنهجية نحو تحديد مكان واتجاه الفكر نحو الوجود، بعد أن استحالت أمام هيدغر إمكانية رؤية الوجود في الإليثيا (لا – انحجابا) » [99].

هذه المحاولة الهيدغيرية هي فتح جديد لمختلف الإمكانات والمسالك والدروب لتهيئة العبور نحو الوجود على اعتبار استحالة اتباع أسلوب ومسلك واحد لذلك، وعليه يحتاج الفكر إلى تجربة عميقة بتلك الأساليب وبتلك المسالك وباللغة لتحديد موضع وموقع الوجود، لقد اعتقد في الفن أسلوبا كاشفا للحقيقة فالفنان يبدع أعماله طلبا لإظهار الوجود وتعيين مقامه ،فالعمل الفني على حد تعبيره، على اعتباره أحد الدروب التي يثق فيها هيدغر يستقدم العالم إلى الظهور، تتجلى الحقيقة إذن في العمل الفني ويتموضع الوجود، ومن هنا ينصب التأويل الفينومينولوجي الهيدغري على العمل الفني دون الاهتمام بفعل الإبداع، ويفهم إذن العمل الفني فهما فينومينولوجيا تسخيرا للفن من أجل كشف حقيقة الوجود .

هذا التموضع الجديد للفرضية الهيدغيرية لا يدل إلا على التحول، تحول السؤال الهيدغري من سؤال عن الحقيقة إلى سؤال عن تعيينية الوجود، وهو ما رسمه هيدغر سؤاله الأساسي من جديد والذي يتجه به إلى البحث

---

2 / د – علي الحبيب الفريوي -الفن و الحقيقة . المرجع السابق ص 148

في بؤرة أو فجوة الإشراق النوراني للوجود[100]*،وهي إشارة أخرى لبحث هيدغر عن موضع أخر ليس بالمعنى المكاني للموضع لا بل على سبيل التأمل فيما يسمح للوجود بالظهور والتجلي والانكشاف كفضاء للانفتاح وهي إحدى الدروب التي سلكها هيدغر دائما في إطار استكمال مشروعه البدئي لمجاوزة كل ما هو ميتافيزيقي .

وتعد هذه المحاولة الهيدغيرية بمثابة اجتهاد نقدي للتراث الميتافيزيقي، وهذا بعد أن استكمل البحث في معنى الوجود، وهو جسر أخر للعبور نحو ضرب جديد من التفكير تاركا وراءه فكرة البحث عن ظهور وانحجاب الوجود، إلى بدء جديد يعبر نحو احترافية التفكير بالوجود داخل الخلوة التي رسم بها معالم البدء الأخر، وهذه واحدة أخرى من الأسباب التي هيئها هيدغر للعبور من بدء إلى بدء وهي سمة التفكير الهيدغري التي اتسم بها مشروعه، أراد من وراء هذا التحول نقل السؤال من سؤال الميتافيزيقا إلى سؤال يهتم بالفكر الذي يدور حول الوجود، رغبة في توظيف بدء أخر، تفكيرا في الوجود يأخذ طابعا طوبولوجيا، يذهب إلى ما لم يفكر فيه، في ما لم تفكر فيه الفلسفة، وفي ما لم يسأل عنه، والذي ندركه حينما نسأل السؤال حول الوجود ذاته .

لقد ركز هيدغر و منذ " الوجود والزمان " على السؤال، وهو أحد الأسباب والسبب الرئيسي لانتقال التفكير إلى ما لم يفكر فيه، على اعتبار أن الفلسفة على حد تعبير هيدغر تشترط استخدام السؤال، لذلك من أجل اظهار ما احتجب واللا- احتجاب .

1*/ يرى محمد محجوب الذي ترجم الكلمة الألمانية (Lichtung) إلى العربية " فجوة" على أنها إحدى الزوايا التي احتمى إليها هيدغر حتى لا يقع في طرحه لسؤال قبلية الوجود في سؤال ميتافيزيقي ، و ذلك لمغادرة البدء الميتافيزيقي الأول وهو ما سيقف حائلا دون التقدم في مشروعه لمجاوزة الميتافيزيقا ،حيث جعل من الخلوة شرط لكل تعيين مفهومي للوجود الميتافيزيقي ، فالفجوة أو الخلوة كما يسميها أحيانا تأخذ معنى الإنفتاح الذي يبلغه الوجود – في – العالم .

فمنذ " الوجود و الزمان " أصبح السؤال مع هيدغر يعني أو يقصد به التساؤل عن الوجود، وهو بهذا يمنح الوجود فهما أعمق وأدل في إطار مجاوزة الميتافيزيقا دائما، وقد وجد في اللغة أفقا رحبا يحيل الوجود لذاته لا لغيره ويفهم في رحاب الفكر المتفكر .

أصبح هيدغر يفكر في حقيقة الوجود سؤالا جذريا لا يحتاج إلى تأجيل، وذلك بعد أن تأكد أن معنى الوجود ظل سجين اللغة الميتافيزيقية، إلا أن حقيقته لا تحتاج إلى أصل، فأمر الانتقال من معنى الوجود إلى حقيقة الوجود لم يكن تدميرا لماهية الإنسان بقدر ما كانت الضرورة المنهجية التي دعت لذلك، على اعتبار أنها كانت استجابة لتخطيطية " الوجود و الزمان " توافقا على منهج الإنهاء الميتافيزيقي .

فالبحث في حقيقة الوجود لا يختلف عن حقيقة البحث في معنى الوجود ،فالحقيقة الانطوائية أي البحث في حقيقة الموجد ما هي إلا سبيل للبحث في الحقيقة الأنطولوجية (حقيقة الوجود)، فانكشاف الوجود بحق يحتاج إلى الحقيقة الأنطوقية إلى المعنى، والتي تعد بالنسبة إلى هيدغر بمثابة الخيط الهادي لذلك .

وعليه يبقى الوجود الإنساني معلق بين خيطين إما الالتفات إلى ما يوجد (الحقيقة الأنطوقية)، وإما السعي وراء حقيقة الوجود وهو الهدف الذي من أجله قامت التخطيطية الهيدغيرية، وهذا لا يمنع من أن أحدهما يحتاج في

قيامه إلى إدراك الأخر، لأن غض الطرف عن الحقيقة الانطوقية أو البحث في معنى الوجود يعد عائقا يحجب الحقيقة الأنطولوجية أو حقيقة الوجود، وهي الإشكالية التي ظلت تتابع هيدغر وتعترضه، وكذا تاريخ الميتافيزيقا منذ أفلاطون، حتى أن بعض الفلاسفة يعزون انقطاع هيدغر في " الوجود و الزمان " إلى ذلك، وعليه« ظلت حقيقة الوجود معلقة في الممكن، وهي أحد الأسباب التي دفعت هيدغر للعودة إلى الأصول الأولى، حيث شكلت قضية الوجود فرضا وواجبا يحتاج إلى المساءلة »[101] .

هذا ما دعا هيدغر إلى توجيه سؤاله إلى مسألة الحقيقة، وأعطاه الأسبقية الأنطولوجية« فتفسير الوجود يحتاج إلى حقيقة الوجود » [102]، فيتحول بذلك من سؤال عن المعنى إلى سؤال عن الحقيقة، باحثا من خلاله عن أصل للوجود الإنساني لكي يوجد، لا للتضحية بالإنسان في العدمية على اعتبار أنه يجب أن نبحث في الوجود مستقلا عن كل موجود، فانكشاف الإنسان في نظره لا يحتاج إلى أساس، وقد جعل في ذلك من اللغة وسيلة للتحول من المعنى إلى الحقيقة، واعتبرها مسكن الوجود والتي« من داخلها يظهر

---

[101]/ د – علي الحبيب الفريوي -الفن و الحقيقة . المرجع السابق ص91

[102]/ د – علي الحبيب الفريوي - الفن و الحقيقة . المرجع السابق ص91

الوجود، وفي الكلام يتحقق الإنصات إلى صوته، وأن ننصت هو أن نفكر بعمق في حقيقة الوجود »[103] .

ومن هنا يتوارى كل قصد من وراء نفي كل أساس للوجود، إذا كان هذا الأصل هو الموضع التي توطنت فيه الحقيقة، وهي السمة التي غلبت على كل أفكار هيدغر التي انفتحت على فضاء فسيح لا حدود للتفكير فيه، مما استدعى معاودة الكرة في كل مرة ومن جديد واستحداث بدايات جديدة في مسار لولبي مفاده الغوص في الأعماق أعماق كل ما لم يفكر فيه، مما جعل حقيقة الوجود كسؤال سرا، وتبقى مسيرة المجاوزة مغامرة لم تنتهي إلى حدود تعيين وتحديد الوجود، ويبقى هذا الانكشاف غامضا يصعب التفكير فيه .

[103]/ المرجع نفسه، ص92

خـــــــاتمة

يمكن الاستنتاج في الأخير أن قضية المنهج هي القضية المحور في الفلسفات الحديثة والمعاصرة، والتأمل فيها قد شغل معظم كبار الفلاسفة في عصرنا، غير أن تناول هذه القضية بالبحث والدرس أخذ أشكالا مختلفة تبعا لاختلاف الخلفيات المعرفية والتوجهات الفلسفية، غير أننا في هذا البحث شددنا على معنى الفلسفات الغربية التي اتخذت من التفكير في قضية المنهج نقطة انطلاق لها، من أجل تفكيك البنيان نفسه الذي قامت عليه الفلسفة، وهذا ما تجسد في المحاولة الهيدغيرية التي حاولت هدم الفلسفة وتقويضها من الداخل، عن طريق تفكيك البناء الذي قامت عليه، وكانت هذه المحاولة هي الأكثر حضورا وسار على نهجها الكثيرون، إذ يعتبر هيدغر من بين الفلاسفة القلائل الذين لهم بالغ الأثر في تاريخ الفكر الغربي، سواء من ناحية تأويلاته الخاصة للفلسفة منذ البدايات الإغريقية، أو من جانب التساؤلات والتحويرات التي أدخلها على الممارسة الفلسفية ذات الأبعاد الوجودية، إذ يعد بممارساته للسؤال الأنطولوجي من بن الفلاسفة المصنفين ضمن سياق النقد الجذري للحداثة الغربية .

ومن جهة ثانية وكاستنتاج، فإن الخوض في غمار الفلسفة الهيدغيرية يجعلنا نقف أمام مراحل هيدغيرية ثلاث، على اعتبار أن هيدغر متعدد ويحمل أرقاما وألقابا عدة .

فهيدغر تلميذ " دانز سكوت"و"كانط"و"هوسرل"، وريث الفينومينولوجيا ومنهجها، وهيدغر الثاني وريث الرومنتيكيين الذي طرح مشكلة الميتافيزيقا من خلال اللغة، وهيدغر الثالث العائد إلى "هيغل" ومصدر الفلسفة الهيرمينيوطيقية، هذا التصنيف هو ما جعل هيدغر متعددا وغامضا في معظم الأحيان، فما كان بوسعنا إلا تكوين فكرة ولو بسيطة عن المنهج الفينومينولوجي الهيرمينيطيقي عنده .

لقد كان لهيدغر من خلال كتابه " الوجود و الزمان " بالغ الأثر على الفينومينولوجيا والهيرمينيوطيقا وأضفى عليهما طابعا جديدا، وتحولا كبيرا، ووضعهما في سياق جديد .

إلا أن الأمر الذي لا مناص منه هو أن هيدغر لم يكن ليؤسس لنظريته ورؤيته المنهجية إلا بالاستناد إلى أستاذه إدموند هوسرل، وحتى هيدغر لا ينكر هذا الفضل في توسع تصوراته خصوصا المبكرة منها، غير أنه وبعد " الوجود و الزمان " 1927م، وضع هذه التصورات المبكرة في سياق جديد وكيفها وفق أغراضه، وما اختفاء مصطلح " فينومينولوجيا " في كتاباته اللاحقة والتي تلت " الوجود و الزمان " إلا دليلا قاطعا، صريحا وواضحا على هذا التحول نحو السياق الجديد، إلا أن هذا بالنسبة إلى هيدغر لم يكن خيانة لأستاذه هوسرل، بل كان يرى في موقفه - الذي اعتبر تطرفا فكريا – تطويرا للفينومينولوجيا : «فليس من الضروري لكي يكون الفيلسوف فينومينولوجيا أن يكون هوسرليا قلبا وقالبا بل إن هذا ضد مصلحة الفينومينولوجيا وضد طبيعتها كمنهج " مفتوح " قابل للتطوير»، بل أكثر من ذلك كان يعتقد أنه أكثر وفاءا للفينومينولوجيا من أستاذه .

فقد نظر إلى أستاذه على أنه قد ظل الطريق الذي رسمه، والمؤدي إلى الظواهر، فكان من الواجب إعادة رسم المعالم الصحيحة للطريق التي كان من المفترض أن تبتعد عن الذات المتعالية، التي فسر من خلالها هوسرل الظواهر، والتي تعد اعتداء ضد الظواهر نفسها، هاته هي المعالم التي تصورها هيدغر للمنهج الصحيح الهادف إلى تفسير الظواهر، فهو على ما يبدو ظل طيلة مسيرته يدافع عن فكرة أساسية هي التوجه نحو الظواهر

ذاتها، وذلك خارج إطار تفسيرها بردها إلى الذات المتعالية، وعليه لا يعد هذا تمردا على الفينومينولوجيا بقدر ما يعد انتفاضة مع أستاذه وضد التيهان الذي غاب بين ثناياه هوسرل، والذي كان في لبه يماثل ما ذهبت إليه الديكارتية والفلسفات الذاتية .

فقد جاء هيدغر مصححا للمنهج الفينومينولوجي من بقايا الذاتية، متوجها به إلى تأويلية الوجود، وهو ما يعكس انقلابه على الأنطولوجيا الصورية الهوسرلية، التي اقتصرت على الأشياء، بالإضافة إلى ذلك فإنه يعد من الخطأ من يعتبر هذا الانقلاب ازدواجية في فكر هيدغر، فهيدغر لم يكن البتة وجوديا أبدا، بقدر ما كان فينومينولوجيا قلبا وقالبا، فتوجهه نحو الوجود لا يعني أنه نحى منحا وجوديا بقد ما يمكن رد هذه القطيعة مع هوسرل إلى الحاجة الملحة التي دعت إليها رسالته الفكرية، في إطار مشروعه العام لمجاوزة الميتافيزيقا .

فإن فكرة تفسير الظواهر بردها إلى ذاتها هي الحاجة العظمى في نفس هيدغر، لرحيل بعيدا بالمنهج الفينومينولوجي، ويضفي عليه طابعا جديدا وصبغة تأويلية، ويزرع في قلب الفينومينولوجيا أنطولوجيا الوجود الإنساني، هذا هو التصور العام بدون تفصيل، والذي رسمه هيدغر للمنهج الفينومينولوجي الذي بدأ فينومينولوجيا وانتهى به المطاف في حضن الذات المتعالية مع هوسرل، ليجد له هيدغر في الهيرمينيوطيقا ملاذا أمنا يؤول من خلاله الوجود الإنساني، باعتباره عمق الوجود، ومنبع الظواهر التأويلية، بعيدا عن التفسيرات الذاتية، التي لم تسلم من الوقوع في فج الذات المتعالية .

إلا أنه ما يأخذ على هيدغر أنه حاول أن ينقذ أستاذه من مغبة التيهان في عمق الذات المتعالية، وتبعا لذلك الفينومينولوجيا كمنهج من الوقوع في التناقضات التي تذهب مقاصده أدراج الرياح وتسبح براكبه في ظلمات الميتافيزيقا المتدرجات، ليقع في تيهان أعت وأمر مما حاد عنه هو ذاته، فهيدغر لم يفتح نافذة على غرفة بينة المعالم مرسومة الأبعاد، بل فتح نافذة على فضاء فسيح لا حدود له، ولا معالم تحدده، مستعملا في ذلك لغة ليس لها جذر ولا أصل زادت الأمر عسرا وتعقيدا وغموضا، وبدلا من الكشف عن الظواهر زادتها تسترا وانحجابا، وتبعا لذلك عرف هيدغر بغموض لغته، واشتباه تصوراته، وتشابك أفكاره، وتشعب دروبه، وهو ما كان يشير إليه دائما بالغابة السوداء المظلمة، وهو أيضا ما أضفى على فلسفته طابع القلق، والتشاؤم، وقد وصل به الحال إلى أن أتهم من طرف مجموعة من النقاد على أنه سار بهذا المنهج ; أي الفينومينولوجي إلى محاولة نفي الواقع المادي والعلم، عندما جعل مقولة العدم محور أنطولوجيته .

إلا أن الشيء الذي يجب أن نعترف به هو أن فضل الربط بين الفينومينولوجيا والهيرمينيوطيقا، لا يمكن أن يرد إلا إلى هيدغر وعلى هذا يمكن وصف فلسفته بأنها أنطولوجيا فينومينولوجية نابعة من تأويلة الدازاين، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هيدغر قد نجح في نقل سياق الفينومينولوجيا والهيرمينيوطيقا بكامله بعيدا عن التصور القديم لهما، وأسهم في تطويرهما إسهاما متعدد الجوانب، وهو بهذا يكون قد أحدث تغييرا جذريا في الطابع الأساسي للفينومينولوجيا والهيرمينيوطيقا، كما يجب أن نؤكد مجددا أن المنعطف أو ما يسمى غالبا المنعرج الذي أحدثه هيدغر داخل الفلسفة عموما وداخل الفينومينولوجيا خصوصا، قد خدم المنهج الفينومينولوجي أكثر مما أضر به.

هذه أهم الاستنتاجات التي يمكن أن أسجلها غير أن غياهب البحث في هذا الموضوع تبقى بعيدة الأغوار، ويبقى الاكتمال الفينومينولوجي حلما يراود كل فينومينولوجي، وتبق الفلسفة الفينومينولوجية الفلسفة الحالمة والطريق المفتوح على كل الامكانات المتاحة، والتي ستتاح ضمن استئنافات أخرى في خضم مقصد تحقيق الاكتمال افينومينولوجي، ويبقى السؤال مطروحا دائما إلى متى سيظل السؤال قابعا في صيغة ال " كيف " ؟ وإلى متى سيظل سؤال المنهج سؤال كل الأسئلة ؟.

الفـــــــــــهارس

فهرس الأعلام

- **ابن رشد** : ص58 .
- **أرسطو طاليس** : ص15،ص19 ، ص20 ، ص31 ، ص 32 ، ص34 ص36 ، ص37 ، ص61 .
- **أفلاطون** : ص3 ، ص31 ، ص32 .
- **بول ريكير** : ص33 ، ص64 ، ص86 .
- **جوهان هاينريش لومبارث** : ص14 .
- **دانز سكوت** : ص115 .
- **دلتاي** : ص57 ، ص58 .
- **ديكارت** : ص3 ، ص4 ،ص6 ، ص7 ، ص54 ، ص62 ، ص71 ، ص92 ، ص100 ، ص101 ، ص102 ، ص103.
- **شلايرماخر** : ص57 ، ص58 .
- **فرانز برينتانو** : ص15.
- **كانط ايمانويل** : ص3 ، ص4 ، ص62 ، ص115.

- **مونييه** : ص71 .

- **ميرلوبونتي** : ص13 .

- **هوسرل ايدموند** : ص2 ، ص3 ، ص4 ، ص5 ، ص6 ، ص7 ، ص10 ، ص13 ، ص15 ، ص32 ، ص46 ، ص54 ، ص55 ، ص57 ، ص61 ، ص62 ، ص66 ، ص69 ، ص71 ، ص73 ، ص74 ، ص77 ، ص81 ص82 ، ص85 ، ص86 ،ص87 ، ص89 ، ص92 ، ص97 ، ص99 ، ص100 ، ص102 ، ص103 ، ص104 ، ص105 ، ص106 ، ص107 ، ص109 ، ص110 ، ص115 ، ص116 ، ص117 ، ص118 .

- **هيدغر مارتن** : ص5 ، ص6 ، ص7 ، ص8 ، ص9 ، ص10 ، ص11 ، ص13 ، ص16 ، ص17 ، ص19 ، ص20 ، ص21 ، ص22 ، ص23 ، ص24 ، ص25 ، ص26 ، ص27 ، ص28 ، ص29 ، ص31 ، ص32 ، ص33 ، ص34 ، ص35 ، ص37 ، ص40 ، ص43 ، ص44 ، ص45 ، ص46 ، ص47 ، ص48 ، ص49 ، ص50 ، ص51 ، ص52 ، ص53 ، ص54 ، ص55 ، ص57 ، ص58 ، ص59 ، ص60 ، ص61 ، ص62 ، ص64 ، ص66 ، ص67، ص68 ، ص69 ، ص70 ، ص71 ، ص72 ، ص73 ، ص74 ، ص75 ، ص76 ، ص77 ، ص78 ، ص79 ، ص81 ، ص82 ، ص83 ، ص85 ، ص86 ، ص87 ، ص89 ، ص90 ، ص91 ،

ص92 ، ص93 ، ص94 ، ص95 ، ص96 ، ص97 ، ص102 ، ص103 ، ص104 ، ص105 ، ص106 ، ص107 ، ص109 ، ص110 ، ص111 ، ص112 ، ص113 ، ص115 ، ص116 ، ص117 ، ص118 ، ص119 .

- **هيغل فريدريك** : ص15 ، ص57 ، ص59 ، ص116 .

ثبت المصطلحات

Abondon	ترك
Abstrait	مجرد
Actuel	راهنية
Actualite	حانية-راهنية
Analogie	مماثلة
Angoisse	قلق
Aperite	انفتاح
Apparaitre	ظهر
Archeologie	أركيولوجي
Autre	آخر
Aspect	مظهر
Autre commencement	بدء آخر
Binaire	ثنائية
Concept	مفهوم-تصور
Conceptuel	مفهومي
Conscience	وعي
Clairette	الوضوح
Concept absolu	مفهوم مطلق
Concret	عيني

Certitude	تعيق
Chose	شيء
Dasein	موجد
Devoilement	انكشاف
Dissimutation	إخفاء
Disposition	استشكال
Destruction	تقويض
Discursif	نظرية
Discours	خطاب
Dépassement	مجاوزة
Entendment	فهم
Ethique	إيتيقا
Etre	وجود
Etre en soi	الوجود في ذاته
Etre pour soi	الوجود لذاته
Ego	الأنا
Essense	ماهية
Existence	وجود
Etant	موجود

Explication	تفسير
Facticite	حدثية
Fonction	وظيفة
Fin	غاية
Finitude	تناهي
Grand commencement	البدء الأكبر
Historité	تاريخية
Herméneutique	تأويلية
Intentionalite	القصدية
Immanances	محايثة
Inconscient	لاوعي
Jigement	حكم
Logos	لوغوس
Lichting	فجوة
Le maintenent	الآن
Methode	طريقة-منهج
Manifeste	متجلي
Nihilisme	عدمية
Non verilement	لا انجاب

Non etre	اللاوجود
Obscurcissement	غموض
Ouverture	انفتاح
Ontologie	أنطلوجيا
Obnubile	متحجب
Obnubilation	الإحتجاب
Presence	حضور
Phénoméne	فينومان
Phénoménologie	فينومينولوجيا
Poser	وضع
Perspective	منظور
Patrimoine	تراث
Possible	ممكن
Posteriori	بعدي
Question	سؤال
Retrait	اختفاء
Retour eternel	عود أبدي
Renversement	قلب
Repliment	إنشاء

Subjectivite	ذاتية
Surmontement	مجاوزة
Temps	زمن
Trenscententale	متعالي
Temporalite	زمانية
Voilement	تحجب
Vision	رؤية
Vec	معيش
Veritable	حقيقي

بيبليوغـــرافيـــا

1/ قائمة المصادر باللغة العربية :

- - مارتن هيدغر ،الكينونة و الزمان ،ترجمة وتقديم د .فتحي المسكيني ، مراجعة . إسماعيل المصدق ، دار الكتاب المتحدة ، 2012 ، الطبعة الأولى .
- - مارتن هيدغر ، كتابات أساسية ، الجزء الأول ،ترجمة . إسماعيل المصدق ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ،2003 القاهرة
- - مارتن هيدغر ،التقنية- الحقيقة- الوجود ، ترجمة . محمد سبيلا ، عبد الهادي مفتاح ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء .1995
- - مارتن هيدغر ، ماذا يعني التفكير ؟ ترجمة . نادية بونفقة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر 2008/09
- - مارتن هيدغر ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ ترجمة فؤاد كامل ، محمود رجب دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة 1974
- - إ .هوسرل ، فكرة الفينومينولوجيا .ترجمة فتحي انقزو ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،2007 .
- - إ . هوسرل ،تأملات ديكارتية – المدخل إلى الظاهريات –ترجمة و تقديم ، نازلي إسماعيل حسين (د ط)دار المعارف . مصر . القاهرة (د ت) .
- - بول ريكير، من النص إلى العقل،ترجمة:محمد برادة و حسان بورقية ،عين للدرسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، القاهرة ،2001

2/ قائمة المصادر باللغة الفرنسية :

- Martin Heidegger . Être et Temps .trad de l'Allemand et annoté par Rudolf Boehm et Alphonse de Waelhens . nrf .Gallimard .paris 1964.
- M .Heidegger .Les problèmes fondamentaux de la phénoménologie .trad par J-F Courtine.Gallimard .paris 1985
- M .Heidegger Ontologie Herméneutique de la FActivité .trad de l'allemand par Alain Boutot .nrf Editions Gallimard 2012 pour la tradition française .
- M. Heidegger .Introduction a' la recherche phénoménologique .trad. de l'allemand par Alain Boutot .nrf Editions Gallimard 2013 pour la tradition française .
- M. Heidegger questions 1 (qu'est –ce que la métaphysique? Ce que fait l'être-essentiel d'un de l'essence de la vérité "raison "fondement ou contribution à la question de l'être identité et différence) trad. De l'Allemand par henry corbin . Roger Munier Alphonse Walter biemel. Gerard granel andré préau .nrf .Gallimard . Editions Gallimard 1968 pour la tradition française.
- M. Heidegger questions 2. trad. De l'allemand par henry corbin. Roger Munier Alphonse Walter biemel. Gerard granel andré préau .nrf .Gallimard . Editions Gallimard 1968 pour la tradition française.

- M.Heidegger Introduction à la métaphysique .trad.par Gelbert Kohan .Édition presses universitaires de France. Paris 1958.

3/ قائمة المراجع باللغة العربية :

- عبد السلام بنعبد العالي .أسس الفكر الفلسفي – مجاوزة الميتافيزيقا – الطبعة الثانية . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء .المغرب 2000
- محمد طواع .هيدغر و الميتافيزيقا – مقاربة تربة التأويل التقني للفكر – إفريقيا الشرق (ب ط) 2002
- سعيد توفيق .الخبرة الجمالية (دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية) .دار الثقافة للنشر و التوزيع .القاهرة 2002
- عادل مصطفى .فهم الفهم .مدخل إلى الهيرمينيوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادمير).دار النهظة العربية .بيروت الطبعة الأولى 2003.
- عبد الغاني بارة –الهرمينوطيقا و الفلسفة – نحو مشروع عقلي تأويلي . منشورات الإختلاف الطبعة الأولى .2008.
- إ.م.بوشنسكي – الفلسفة المعاصرة في أوربا. ترجمة . عزت قرني عالم المعرفة ، الكويت (د ط) (د ت) .
- فتحي انقزو ، هوسرل و معاصروه ، من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ،الدار البيضاء المغرب 2006
- زكرياء إبراهيم – مشكلات فلسفية – مشكلة الإنسان (د ط) مكتبة مصر (د ت) .
- محمود رجب ، لمحات عن فلسفة هيدغر ضمن ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلدرلن و ماهية الشعر ، ترجمة فؤاد كامل و محمود رجب ،دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ،1974

- - جمال مفرج الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات ، منشورات الإختلاف ، الطبعة الأولى 2009 .
- - نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة و أليات التأويل، المركز الثقافي العربي الطبعة الثالثة ،1994 .
- - د . علي الحبيب الفريوي ،مارتن هيدغر ، الفن و الحقيقة أو الإنهاء الفينومينولوجي للميتافيزيقا ، ، دار الفارابي ، الطبعة الاولى ، بيروت 2008
- - د.صفاء عبد السلام جعفر .الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر .منشأة المعارف .الإسكندرية. الطبعة الأولى 2000
- - إبراهيم أحمد ، إشكالية الوجود والتقنية عند هيدغر ، منشورات الإختلاف ،الدار العربية للعلوم –ناشرون الطبعة الأولى 2006

4/ قائمة المراجع باللغة الفرنسية :

- Pierre TROTIGNON . LA PHILOSOPHIE ALLEMANDE - de puis Nietzsche .librairie armand .paris
- tania BASQUE .E'TUDE SUR LA PHENOMENOLOGIE - DE HEIDEGGER .l'être et le phénomène l'Harmattan .2008 .
- "- E .Husserl ,Méditation cartésiennes INTRODUCTION A "LA PHENOMENOLOGIE Traduit de l'allmand par Gabrielle Peiffer et Emmanuel Lévinas .Librairie philosophique j.Vrin.paris .1996.

5/ الدوريات و المقالات:

- - د. عبد القادر بودومة ،الدلالة الفينومينولوجية للمنهج، مجلة لوغوس، مجلة سداسية تصدر عن مخبر الفينومينولوجيا و تطبيقاتها ، جامعة تلمسان ،العدد الثاني فيفري 2014

- أشرف حسن منصور ، أنطولوجيا الوجود الإنساني بين هيغل و هيدغر ، مجلة الفلسفة و العصر ، تصدر عن المجلس الأعلى للثقافة المصري ، العدد الثالث 2004- 2005

6/ <u>المعاجم و الموسوعات</u> :

- أندريه لالاند موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة .أحمد خليل ، أحمد عويدات ، المجلد 1 ،الطبعة الثانية ، منشورات عويدات ،بيروت 2001
- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ج1،ج2 ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1984
- Paul Foulquie .Dictionnaire de la Langue Philosophique 1*er* Édition presses universitaire des France .paris 1962
- Didier Julia .DICTIONNAIR DE LA PHILOSOPHIE ,France,2007

الفهرست

مقدمـــــــــة

الفصل الأول : في إمكان فهم الفينومينولوجيا ص12

المبحث الأول: المفهوم الفينومينولوجي للفينومان ص18

المبحث الثاني: الدلالة الكشفية للوغوس.....ص30

المبحث الثالث: التصور الإبتدائي للفينومينولوجيا.....ص42

الفصل الثاني: هيدغر و الفهم الجديد للفينومينولوجيا.....ص52

المبحث الأول: الرؤية التأويلية للفينومينولوجيا.....ص55

المبحث الثاني: الفينومينولوجيا كإمكانية مفتوحة لفهم الوجود.....ص64

المبحث الثالث: المعنى المنهجي للوصف الفينومينولوجي.....ص75

الفصل الثالث : سؤال الفينومينولوجيا كموضوع للتفكير.....ص83

المبحث الأول: التفكير في الفينومينولوجيا داخل الفينومينولوجيا.....ص87

المبحث الثاني: الفينومينولوجيا من البداهة إلى السؤال.....ص97

المبحث الثالث: فينومينولوجيا هيدغر في مواجهة سؤال المنهج.....ص106

خاتمـــــــــة.....ص115

فهرس الأعلام.....ص121

ثبت في المصطلحات.....ص125

بيبليوغرافيا.....ص131

الفهرس.....ص137

ملخص:

لم يكن هيدغر كما ظن الكثيرون وجوديا بقدر ما كان فينومينولوجيا،على خطى أستاذه "ادموند هوسرل".هذا رغم الانعطاف الفكري الذي أحدثه هيدغر داخل الفينومينولوجيا ،إلا أن ذلك لم يكن تحطيما بقدر ما كان تصحيحا واستئنافا لما بناه هوسرل ذاته،و ذلك في قالب جديد يوحي بالأصالة و التأصيل ،لمنهج رسم ملامحه في كتابه الشهير "الوجود و الزمان"1927 "، و هو ما أضفي سمة التعديل على الفينومينولوجيا من خلال ما أصطلح على تسميته بالزرع الأنطولوجي في الفينومينولوجيا ،الذي يعكس الوجهة التأويلية التي اتخذتها الفينومينولوجيا مع هيدغر لدراسة الوجود و الوجود الإنساني على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الفينومينولوجيا، الأنطولوجيا، التأويلية، الوجود، الوجود الإنساني .

Résumé :

Heidegger n’est pas comme ont pensé les autres, existentiel autant qu’il est phénoménologue en suivant les traces de son professeur Edmond Husserl, Et ceci, malgré sa divergence idéologique provoquée par Heidegger au sein de la phénoménologie. Elle n’est pas une destruction autant que c’est une correction de ce que a construit Husserl lui-même, c’est un nouveau modèle qui fait appel aux racine, et a l’enracinement, pour une méthode ou’ il a introduit son portrait dans son livre célèbre : «être et temps» 1927, ou’ il a ajouté des changements sur la phénoménologie d’où l’appellation d’implant ontologique dans la phénoménologie, ainsi, elle reflète la façon herméneutique prise par la phénoménologie de Heidegger afin d’étudier l’être et l’être humain en particulier .

Mots clés: la method.la phénoménologie. L’ontologie .l’herméneutique. L’être humain

Summary :

Not Heidegger as many thought existential as It was phenomenological, in the footsteps of his mentor Edmund Husserl, this despite ideological divergence brought about Heidegger within phenomenology, but that did not breaks as it was a correction and an appeal to the built Husserl itself, in the new template suggests rebellion and rooting for the curriculum drawing features in his famous book 'existence and time' 1927, which peppered the amendment feature on phenomenology through what has been termed the implant ontological in phenomenology, which reflects the herméneutique experience with Heidegger's phenomenology taken to study the presence of human existence and in particular.

Key words: the curriculum. Phenomenology. Ontological. Herméneutique . Human existence